

صور مشرقة من سير أهل العلم

جمع

فهد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويخ

حقوق الطبع والنشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين, نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد :

فإن من تسديد الله عز وجل لعبده أن يوفقه لصحبة أهل العلم الأحياء والأموات, فصحبة الأحياء بمجالستهم والأخذ من علومهم وأخلاقهم وسمتهم, وصحبة الأموات بقراءة كتبهم النافعة, ومعرفة سيرهم العطرة, ففي قراءة سيرهم فوائد, منها :

إنها من أسباب صلاح القلب, والقلب إذا صلح, صلح الجسد كُلُّهُ

ومنها : شحذ الهمة لمحاولة اللحاق بهم والتشبه بهم

وتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

ومنها : معرفة العبد تقصيره فالإنسان قد تعجبه نفسه ويُزَيِّنُ له الشيطان عمله فيقرأ في سير أولئك فيعلم أنه مُقصر, قال الإمام الشاطبي رحمه الله : قال حمدون القصار : من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال.

ومنها : أن يعلم العبد أنه على سفر فيستعد لما أمامه, فمن يقرأ سيرهم مرتنون بأعمالهم التي قدموها, وهو صار لما صاروا إليه.

وهذه بعض الصور المشرقة انتقيتها من تراجم وسير أهل العلم, أسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها.

فصل : منهجهم في طلب العلم

لطلب العلم فوائد كثيرة, وفضائل عديدة, جاءت نصوص الكتاب والسنة ببيانها, وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه النافع " مفتاح دار السعادة " أكثر من مائة وخمسين وجهاً في فضل العلم, يقول رحمه الله : لو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين, والالتحاق بعالم الملائكة, وصحبة الملائم الأعلى, لكفى به شرفاً وفضلاً, فكيف وعز الدنيا والآخرة منوط به مشروط بمصوله ؟ !

لقد كان لأهل العلم منهج سديد في طلب العلم, ومن أبرز معالم هذا المنهج :

إخلاص النية وإصلاح الطوية في طلب العلم

كل عمل لا إخلاص فيه, فمصيره الزوال وعدم البركة, قال الإمام الربيع بن خيثم رحمه الله : كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل.

والإخلاص شديد على النفوس, قيل لسهل : أي شيء أشد على النفس ؟ قال: الإخلاص إذا ليس لها فيه نصيب.

أول العلم وأفضله : النية, قال الإمام ابن المبارك رحمه الله : أول العلم النية.

وقال الإمام سفيان رحمه الله ما نعلم شيئاً أفضل من طلب العلم بنية.

ولهذا جاهد أهل العلم أنفسهم لتحقيق الإخلاص في طلب العلم

قال الإمام الثوري رحمه الله : ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي إنها تتقلب عليّ.

وقال الحسن : لقد طلب هذا العلم أقوام وما أرادوا به الله وما عنده, فما زال بهم حتى أرادوا به الله وما عنده.

وقال الإمام الدارقطني رحمه الله : طلبنا العلم لغير الله, فأبى أن يكون إلا الله, وقال حبيب

بن أبي ثابت رحمه الله : طلبت الحديث ومالي فيه نية ثم إن النية جاءت من بعد

ومن جاهد نفسه وأخلص في طلب العلم فليبشر بكل خير
قال أبو موسى رحمه الله : إن الشافعي أراد الله تعالى بعلمه فرفعه الله.
وقال ابن الأماطي رحمه الله : سمعتُ من حنبل بن عبد الله بن الفرج الواسطي جميع المسند
ببغداد في نيفٍ وعشرين مجلساً، ثم أخذتُ أرغبه في الشام، وقلتُ له : إذا سافرت إليه
يحصلُ لك من الدنيا شيء، وتقبلُ عليك وجوه الناس، فقال : دعني، فوالله ما أسافر من
أجلهم، ولا لما يحصل منهم، إنما أسافر خدمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أروى
حديثه في بلد لا تُروى، قال ابن الأماطي : ولما علم الله تعالى نيته الصالحة، أقبل بوجوه
الناس إليه، وحرك الهمم للسمع عليه، فاجتمع عليه جماعة، ما اجتمعوا بمجلس دمشق،
وازدهم عليه الخلق، وسمع منه الملك، وأقاربه.
قال أبو يوسف رحمه الله : يا قوم أريدوا بعملكم الله، فإنني لم أجلس مجلساً أنوى فيه أن
أتواضع، إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً أنوى فيه أن أعلوهم، إلا لم أقم حتى
أفتضح.

طلب العلم على العلماء الراسخين

من أهم الأمور التي ينبغي العناية بها في طلب العلم أن يُطلب من أهله العالمين العاملين،
الفقهاء الراسخين، قال خالد بن خراش رحمه الله : قلتُ لمالك : أوصني قال : عليك
بتقوى الله وطلب العلم عند أهله.
وأهله هم : العلماء الراسخين فيه، العاملون به، الداعون إليه، الصابرون على ما يلاقون
فيه، الذين أورثهم علمهم خشية من الله جل جلاله.

طلب العلم في الصغر وإقبال العمر

طلب العلم في بداية العمر وسن الشباب أفضل من طلبه في زمن الشبية، قال أبو بكر الحافظ رحمه الله : التفقه في زمن الشبية وإقبال العمر.. يرسخ في القلب، ويثبت ويتمكن ويستحكم، فيحصل الانتفاع به والبركة، إذا صحبه من الله حسن التوفيق.

وقال الإمام الحسن رحمه الله : التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر.

وقال علقمة رحمه الله : ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر إليه في قرطاس أو رقعة.

وقال الإمام معمر بن راشد رحمه الله : سمعت من قتادة ولي أربع عشرة سنة فما سمعته إذ ذاك كأنه مكتوب في صدري

ومن يقرأ في تراجم وسير أهل العلم، يلحظ أنهم طلبوا العلم وهم صغار في السن.

قال الإمام سفيان بن عيينه رحمه الله : قرأت القرآن وأنا ابن أربع سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن سبع سنين، وقال : أتيت الزهري وفي أذني قرط ولي ذؤابة فلما رأني جعل يقول واسنينة، واسنينة... ما رأيتُ طالب علم أصغر من هذا.

ولا يعني هذا أن من فاته طلب العلم في الصغر ألا يطلبه وهو كبير في السن قال الإمام البخاري في كتاب العلم "قد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم"

وقد طلب العلم أئمة وهم كبار في السن منهم : الإمام الكسائي رحمه الله.

والإمام ابن حزم رحمه الله، طلب العلم بعد أن تجاوز الخامسة والعشرين من العمر.

وخالد بن عبد الله الأزهري رحمه الله، (ت ٩٠٥) طلب العلم وهو ابن ست وثلاثين.

الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله، أحمد بن علي بن محسن القاسم الصنعاني رحمه الله (ت ١٢٢٣) أنه اشتغل بطلب العلم بعد أن قارب الخمسين من عمره.

الحفظ

لا يوجد طالب علم لا يحفظ, فالحفظ ركيزة أساسية في طلب العلم.
قال الأصمعي رحمه الله : كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علماً.
وقال المزروع العبدى رحمه الله : ليس العلم ما حواه القمطر إنما العلم ما حواه الصدر.
وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله : إن الذي لا يحفظ المتون ليس بطالب علم بل هو مستمع.
وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين : لم يبق معنا شيء إلا ما حفظناه في الصغر.
وحفظ القرآن الكريم أول ما ينبغي أن يحفظه طالب العلم
قال الخطيب البغدادي رحمه الله : ينبغي للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله عز وجل, إذ كان أجل العلوم وأولها بالسبق والتقديم.
وقال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله : لم يدعني أبي أشغل في الحديث حتى قرأت القرآن
وقال عبد الملك الميموني: سألت أحمد بن حنبل : أيما أحبُّ إليك أبدأ ابني بالقرآن أو الحديث ؟ قال: بالقرآن القرآن, قلتُ : أعلمه كُلُّه ؟ قال: إلا أن يعسر عليه فتُعلمه منه ولأهمية حفظ القرآن الكريم فقد كان العلماء يطلبون من طالب العلم أن يحفظ القرآن, قبل أن يبدأ بطلب العلم.
قال الوليد ابن مسلم رحمه الله : كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينا حدثاً قال : يا غلام قرأت القرآن ؟ فإن قال : نعم. قال : اقرأ : { يوصيكم الله في أولادكم } وإن قال : لا قال : اذهب تعلّم القرآن قبل أن تطلب العلم.

وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة أدعى لثباته ودوامه, ولذا حرص أهل العلم على حفظه وهم صغار في السن, وسأقتصر على ذكر أبرز من حفظوه وهم أبناء عشر سنين فأقل :

فممن حفظه وعمره خمس سنين :عبدالله محمد الأصبهاني المعروف بابن اللبان رحمه الله وممن حفظه وهو ابن سبع سنين : الإمام الشافعي, والإمام الطبري, والإمام البلقيني, والإمام الفيروزباذي صاحب القاموس رحمهم الله.

وممن حفظه وهو ابن ثمان سنين : الحافظ العراقي رحمه الله.

وممن حفظه وهو ابن تسع سنين : الإمام ابن العربي, والإمام أبي شامة, والشيخ عبدالظاهر أبو السمع, والشيخ محمد أبو زهرة, والشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ , والشيخ أبو الوفاء محمد درويش, والشيخ إحسان إلهي ظهير رحمهم الله.

وممن حفظه وهو ابن عشر سنين : الإمام خلف بن هشام, والإمام محمد بن عبدالوهاب, والشيخ صالح عثمان القاضي, والشيخ محمد الأمين الشنقيطي, والشيخ عمر بن حسن آل الشيخ, والشيخ عبدالله يوسف الوابل رحمهم الله.

أما من حفظ القرآن الكريم بعد العاشرة ودون البلوغ فكثيرون, يصعب عدّهم وحصرهم. وقد منّ الله جل جلاله على بعض أهل العلم فحفظوا القرآن الكريم أو أجزاء منه في مدة قصيرة, منهم : الإمام الزهري رحمه الله الذي حفظ القرآن الكريم في ثمانين ليلة.

والشيخ عمر بن محمد بن عبدالله بن حمد بن صالح بن حمد بن محمد بن سليم رحمه الله كان آية في الحفظ والذكاء فقد حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في شهر واحد.

والشيخ حماد جار الله الحماد رحمه الله حفظ القرآن الكريم في شهر واحد.

والشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري رحمه الله, كان يحفظ سبعة أجزاء من القرآن فحبس نفسه (٢١) يوماً لا يخرج إلا لأداء الصلاة في جماعة المسجد أو قضاء الحاجة فحفظ القرآن

والإمام محمد بن أحمد اليونيني رحمه الله حفظ سورة الأنعام في يوم واحد.

والحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله حفظ سورة مريم في يوم واحد.

والشيخ عبدالله ابن الإمام ابن القيم رحمهما الله حفظ سورة الأعراف في يومين.

والشيخ فهد حمين الفهد حفظ سورة الأعراف بن بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب

ومع حفظهم فقد كانوا يضبطون ما يحفظون من القرآن الكريم : قال الشيخ حمد الفهد عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله : لا أذكر مرةً خلال ثمانية عشرة سنة قضيتها معه أنه قد ردَّ عليه أحد أثناء قراءته للقرآن في المسجد أثناء الصلاة.

ويقول الشيخ طارق الخويطر عن الشيخ صالح بن علي الغصون رحمه الله : أنه يقرأ القرآن كاملاً بدون خطأ وأحياناً بخطأ واحد.

وبعد حفظ القرآن الكريم, كان أهل العلم يهتمون بحفظ السنة النبوية, قال الخطيب البغدادي رحمه الله : ثم الذي يتلو القرآن من العلوم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه.. إذ كانت أسَّ الشريعة وقاعدتها قال جل جلاله : { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } [سورة الحشر/٧] وقال عز وجل : { من يطع الرسول فقد أطاع الله } [سورة النساء/٨٠] وقال سبحانه وتعالى : { وما ينطق عن الهوى } [سورة النجم/٣] وقد حفظ الإمام الشافعي رحمه الله الموطأ للإمام مالك وهو ابن عشر سنين, والفقهاء العباس عيسى المسمى رحمه الله حفظ الموطأ وهو ابن خمس عشرة سنة.

تعاهد ما حفظوه وتعلموه بالتكرار والمراجعة

لكي يثبت العلم فلا بد له من تعاهده بالمراجعة, قال الإمام الزهري رحمه الله : إنما يُذهب العلم النسيان, وترك المذاكرة, وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله : ينبغي لطالب العلم أن يكون جل همته مصروفاً إلى الحفظ والإعادة.

ولهذا كان أهل العلم يراجعون ما حفظوه وتعلموه, فالشيخ عبدالمملك بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله كان يحفظ القرآن الكريم كل ثلاثة أيام مرة, والشيخ علي عبدالله جابر رحمه الله كان يراجع كل يوم جزءاً من القرآن وفي شهر شعبان يراجع ثلاثة أجزاء ولم يترك ذلك لا في سفر ولا في حضر ولا في مرض.

والإمام إبراهيم الفيروزآبادي رحمه الله يقول : كنتُ أُعيد الدرس مائة مرة. والشيخ الحسن النيسابوري رحمه الله يقول: لا يحصل الحفظ لي حتى يعاد خمسين مرة والإمام الكيا رحمه الله كان يعيد الدرس سبعين مرة.

الجد والمثابرة في طلب العلم

لقد كان حملة العلم جادين مثابرين في طلبهم للعلم, لأنهم يعلمون أن عاقبة ذلك الترقى في درجات العلم, قال ابن الجوزي رحمه الله : لقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو.

وقال ثعلب رحمه الله : ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو من خمسين سنة. وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : كنتُ في كتاب الحيض تسع سنين حتى فهمته. وقال الخطيب رحمه الله : قد كان خلق من طلبة بالبصرة في زمن علي بن المديني يأخذون مواضعهم في مجلسه في ليلة الإملاء ويبيتون هناك حرصاً على السماع وتخوفاً من الفوات, والإمام النووي رحمه الله كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه.

ترك ما تشتهييه النفس من أجل طلب العلم

شيخ الأندلس يحيى بن كثير , كان يوماً عند مالك, فقدم فيل, وخرج الناس ينظرون إليه, ولم يخرج, فقال له مالك: لم لا تخرج تنظره, فإنه ليس ببلدك فيل؟ فقال: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك, وأتعلم هديك, وعلمك, فقال له: أنت عاقل الأندلس.

والحافظ أبو العلاء الهمداني رحمه الله, باع جميع ما ورثه, وكان من أبناء الدنيا التجار, فأنفقه في طلب العلم حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مرات ماشياً يحمل كتبه على ظهره وقال أحدهم: بقيت سنتين أشتهي الهريسة لم أكلها لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس والشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك رحمه الله, اشترى أرضاً وزرعها واستصلحها, ثم تراجع عن هذا, وخاف أن تصده عن همته العالية في نشر العلم, فقام بإهدائها لصاحبها دون مقابل.

توقيرهم واحترامهم لشييوخهم

لقد كان أهل العلم يحترمون ويوقرون مشايخهم في العلم, وقد تجلّى ذلك في صور عديدة, منها: محبتهم العظيمة لشييوخهم

فالإمام ابن القيم غلبت عليه محبة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله.

والإمام الهيثمي غلبت عليه محبة شيخه الحافظ العراقي رحمهما الله.

والإمام السخاوي غلبت عليه محبة شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمهما الله.

والشيخ حسن بن عبداللطيف بن محمد المانع رحمه الله تأثر بشيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ...وأحبه حباً جماً خالط شغاف قلبه حتى أنه يسميه والدي.

والعلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز أحبَّ شيخه العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ
رحمهما الله، وكان يبكي كثيراً إذا تكلم عنه، بل كان لا يستطيع مواصلة الكلام عنه.
والعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين أحبَّ شيخه العلامة عبدالرحمن بن ناصر
السعدي رحمهما الله، حتى أنه قلده في خطه لفرط محبته له.
ومنها : احترامهم لشيخوهم :

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لخلف الأحمر : لا أقعد إلا بين يديك، أمرنا أن
نتواضع لمن نتعلم منه.. وكان يتواضع للشيخ.
وقال الإمام الشافعي رحمه الله : كنت اصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبة له
لئلا يسمع وقعها.

وقال الربيع رحمه الله : والله ما اجتأرت أن أشرب الماء، والشافعي ينظر إلي هيبة له.
والإمام النووي يتأدب مع شيخه عمر بن أسعد بن أبي غالب رحمهما الله، ربما قام وملاً
الإبريق ومشى به قدامه إلى الطهارة.

والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ كان إذا أتاه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع
رحمهما الله، قام له ورحب به وأجلسه مكانه.
والشيخ عمر بن محمد السبيل رحمه الله، حين حفظ نصف القرآن الكريم، وحصل على
الجائزة (١٠٠٠) ريال وهو صغير السن، استلم الجائزة، وسلمها فوراً لشيخه محمد أكبر
شاه، وأصرَّ على ذلك بحجة أنَّ المستحق الحقيقي لهذه الجائزة شيخه.

ومنها : الدعاء لشيخوهم :
قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : ما بتُّ منذ ثلاثين إلا وأنا أدعو الله للشافعي
وأستغفر له... وقال : ستة أدعو لهم في السحر أحدهم الشافعي.

وقال الإمام عبدالرحمن بن مهدي رحمه الله: ما أصلى صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها
وقال الإمام يحيى بن سعيد رحمه الله : أنا أدعو الله للشافعي في صلاتي منذ أربعين سنة.
وقال الإمام السبكي عن شيخه الإمام الذهبي رحمهما الله : جزاه الله عنا أفضل الجزاء
وجعل حظه من غرفات الجنان متوفر الأجزاء.
والشيخ حسن بن عبداللطيف بن محمد المانع رحمه الله كان يكثر من الدعاء لشيخه
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والترحم عليه كثيراً.
والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله كثيراً ما دعا لأشياخه
ومنها : الثناء على شيوخهم :

قال الإمام ابن الجزري عن شيخه إبراهيم الحموي رحمهما الله : لم تر عيناى من شيوخى
أعلم بالتجويد منه ولا أصح تلفظاً وتحريراً رحمه الله وجزاه عني أفضل الجزاء.
والشيخ حمود بن عبدالله بن حمود بن ربيعة التويجري كان يترحم على شيخه عبدالله
العنقري رحمهما الله كلما ذكره ويكثر من الثناء عليه.
والشيخ محمد المطوع كان يكثر الثناء على شيخه عبدالله العنقري رحمهما الله.
والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سبيل كان كثير الثناء على شيخه عبدالرحمن السعدي
رحمهما الله كلما ذكره دعا له وترحم عليه.

كثرة شيوخهم وملازمتهم لمدة طويلة

أخذ العلم عن الشيوخ المنهج الصحيح لتحصيل العلم, فمن طلب العلم من الكتب فاته
خير كثير, فهناك فنون لا يمكن فهمها إلا عن طريق الشيوخ وهناك آداب لا يتعلمها
الطالب إلا في مجالس العلم, والموفق من أخذ العلم من الشيوخ الذين يتبعون طريقه
السلف, والقارئ لسير أهل العلم يرى كثرة عدد شيوخهم.

ومن أسباب كثرة الشيوخ الرحلة في طلب العلم, فالحافظ الوليد بن بكر بن مخلد رحمه الله لقي في رحلته فيما ذكر أزيد من : ألف شيخ.

ومن أبرز أهل العلم الذين أخذوا العلم من شيوخ كثيرين :

الإمام أبو سعد عبدالكريم السمعاني رحمه الله عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ.

والإمام ابن النجار رحمه الله عدد شيوخه ثلاثة آلاف شيخ.

والحافظ ابن حبان البستي رحمه الله عدد شيوخه أكثر من ألفي شيخ.

والإمام الذهبي رحمه الله عدد شيوخه يربون على الألف شيخ

والإمام ابن مندة الأصبهاني رحمه الله عدد شيوخه ألف وسبعمائة شيخ.

والحافظ ابن عساكر رحمه الله عدد شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ.

والإمام البخاري رحمه الله كتب عن ألف شيخ وثمانين.

والإمام المزني رحمه الله عدد شيوخه نحو ألف شيخ.

ومع كثرة شيوخهم فقد كانوا يلازمونهم لمدة طويلة.

فممن لازم شيخه ثلاثين عاماً : الإمام ابن الجوزي مع شيخه الإمام السلامي رحمهما.

وممن لازم شيخه مدة تزيد على خمس وعشرين سنة :

الشيخ حمود التويجري مع شيخه عبدالله العنقري رحمهما الله.

والشيخ محمد بن قاسم مع شيخه محمد بن إبراهيم رحمهما الله.

وممن لازم شيخه قريباً من عشرين عاماً :

الشيخ عبدالله الجبرين مع شيخه عبدالعزيز الشثري رحمهما الله.

والشيخ عبدالله العقيل مع شيخه عبدالرحمن السعدي رحمهما الله.

والإمام أبو حنيفة مع شيخه حماد رحمهما الله.

والشيخ عبدالعزيز السلطان مع شيخه الشيخ السعدي رحمهما الله.
والإمام ابن القيم مع شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله.
والشيخ عبدالرحمن بن سحمان مع شيخه حمد بن عتيق رحمهما الله.
وممن لازم شيخه قريباً من خمسة عشر عاماً :

الشيخ عبدالله بن زاحم مع الشيخ عبدالله العنقري رحمهما الله.
والإمام الشوكاني مع شيخه الشيخ أحمد محمد الحرازي رحمهما الله.
والشيخ سليمان بن حمدان مع شيخه عبدالله العنقري رحمهما الله.
والشيخ حسن المانع مع شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمهما الله.
وممن لازم شيخه عشرة أعوام :

الإمام ابن عبدالمهدي مع شيخه المزي رحمهما الله.
والحافظ ابن حجر العسقلاني مع شيخه الحافظ العراقي رحمهما الله.
والشيخ عبدالعزيز بن باز مع شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهما الله.
والشيخ بكر أبو زيد مع شيخه محمد الأمين الشقيطي رحمهما الله.

الرحلة في طلب العلم

الرحلة في طلب العلم من أبرز معالم منهج أهل العلم في طلب العلم، وومما تميزت به تلك
الرحلة أنهم كانوا يرحلون لأكثر من بلد، ومن البلدان التي رحلوا إليها :
مكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر، واليمن، وخراسان، وبخارى، وأصبهان،
والإحساء، والهند، وبلعبك، وطرابلس.

وممن طالت رحلتهم في طلب العلم :

الحافظ ابن منده رحمه الله بقي في الرحلة بضع وثلاثين سنة.

والحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله بقي في الرحلة بضع عشرة سنة.
والإمام ابن النجار رحمه الله : قال ابن السباعي : كانت رحلته سبع وعشرين سنة.
والإمام عبدالملك بن محمد بن بكر السعدي رحمه الله أقام في رحلته بضعه عشر عاماً.
وقال الإمام أبو حاتم محمد إدريس الرازي رحمه الله : أول ما رحلت أقمت سبع سنين
وقد واجهوا في هذه الرحلات الشدائد والمصاعب :
فالحافظ عبدالله بن عبدالغني المقدسي رحمه الله رحل ومشى على رجليه كثيراً، قال عمر
بن الحاجب : سمعت الضياء يصف ما قاسي من الشدائد والجوع في رحلته
والحافظ أبو حاتم الرازي رحمه الله يقول: أول ما رحلت. مشيت على قدمي زيادة على
ألف فرسخ... وخرجت من البحرين إلى مصر ثم إلى الرملة ثم إلى طرطوس ماشياً.
والحافظ عبدالقادر الرُّهاوي رحمه الله رحل إلى الشام ومصر والجزيرة والعراق وأصبهان
وأكثر سفره في طلب العلم والحديث كان على قدميه.
والشيخ سعد بن حمد بن عتيق رحمه الله سافر إلى بلد الهند طلباً للعلم.. فتارة يسير مع
ركبان الإبل ومرة مع المشاة على الأقدام ومرة أخرى مع ركبان السفن.

أنسهم وسرورهم بطلب العلم

من أحبَّ شيئاً سُرَّ به وقد كان أنس وسرور أهل العلم في طلب العلم
قيل للإمام الشافعي رحمه الله : كيف شهوتك للعلم ؟ قال : أسمع بالحرف مما لم أسمع
فتود أعضائي أن لها أسمعاً تنعم به ما تنعمت به الأذنان.. فقليل له : كيف حرصك عليه
؟ قال : حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال.

والإمام أحمد بن محمد البرقاني رحمه الله كان حريصاً على العلم منصرف الهممة إليه.
والإمام إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الحراني رحمه الله ليس له كلام في غير العلم.

والإمام أبو عبدالله المروزي رحمه الله جالساً أبو محمد الثقفي أربع سنين فلم يسمعه طول تلك المدة يتكلم في غير العلم.

والحافظ أبو نعيم أحمد الأصبهاني رحمه الله لم يكن له غذاء سوى التسميع والتصنيف قال ابن فارس صاحب اللغة رحمه الله : سمعتُ الأستاذ ابن العميد يقول : ما كنت أظن في الدنيا كحلاوة الوزارة والرياسة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة الطبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي، وكان الطبراني يغلبه بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلبه بفطنته، حتى ارتفعت أصواتهما، إلى أن قال الجعابي : عند حديث ليس في الدنيا إلا عندي، فقال : هات، قال : أنا أبو خليفة، أنا سليمان بن أيوب، وحدث بحديث، فقال الطبراني : أنا سليمان بن أيوب، ومني سمعه أبو خليفة، فأسمعه مني عالياً، فخجل الجعابي، فوددتُ أن الوزارة لم تكن، وكنتُ أنا الطبراني وفرحت كفرحه.

والإمام أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري رحمه الله، اشترى جارية وكان يبحث في مسألة، فاشتغل قلبه بالجارية عن المسألة، فأمر ببيعها، فلما سألته عن سبب بيعها، قال : ما لك عندي عيب غير إنك شغلتنني عن علمي، ولما عَلِمَ الخليفة الراضي قال : لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا الرجل.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال عنه الحافظ الذهبي : لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه.

والإمام علي الأشعري رحمه الله، كان لذته وهواه وتنزهه في مذاكرة العلم، وطلب الفائدة من أي نوع كان.

والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله باز رحمه الله، كان يقول : الدروس أحبُّ شيء إلى نفسي.

- (١٧)

سؤال الله جل جلاله العلم النافع

العلماء الربانيون بعد أن يبدلوا الأسباب في طلب العلم التي سبق ذكرها, يسألون الله أن يرزقهم العلم النافع, لأنهم يعلمون أنهم لا غنى لهم عن خالقهم ورحمهم الكريم
سئل الإمام ابن خزيمة رحمه الله من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماء زمزم لما شرب له (وإيَّي لما شربت ماء زمزم سألت الله علماً نافعاً.
وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: ربما طالعت في تفسير الآية الواحدة مائة تفسير فلا أفهمها ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني.
والإمام الشوكاني يقول: سألت الله... أن يفتح عليّ ما يتميِّز لي به الراجح من المرجوح

الاستمرار في طلب العلم وتعليمه حتى الموت

آخر معلم من معالم طلب العلم أنه لا ينتهي عند حدّ أو عمر.
قيل لابن المبارك رحمه الله إلى متى تطلب العلم؟ قال: أرجو أن تروني فيه إلى أن أموت
وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله: إني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشدّ مما كنتُ أجده وأنا ابن عشرين سنة.
قال أبو بكر الخلال: قلتُ لأحمد بن حنبل إلى متى يكتب الرجل؟ قال: حتى يموت.
وجاء في ترجمة الإمام محمد بن عبدالله بن محمد الأذوني أنه كان حريصاً على طلب العلم راغباً في نشره لم يترك طلبه إلى آخر عمره وما خرج من بيته إلا والدفتري في كفه
والحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله حدّث ليلة موته.
والشيخ عبدالرحمن الحصين رحمه الله كان يذهب إلى حلق العلم وعمره ثمانون عاماً.
والشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله, حُمل من المستشفى بمدينة جدة, وهو في شدة المرض وألقى كلمة في المسجد الحرام بمكة.

(١٨)-

فصل: منهجهم في تعليمهم لطلابهم

العلم ثمرته العمل ومن عمل بما علم كان عمله من أسباب ثبات علمه وعدم ذهابه, قال الإمام وكيع بن الجراح رحمه الله : إذا أردت أن تحفظ حديثاً فاعمل به, وقال المحدث إبراهيم بن إسماعيل رحمه الله : كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به ومن عمل بما علم نفعه علمه, قال الروذباري رحمه الله : من خرج إلى العلم يريد العمل بالعلم نفعه قليل العلم.

هذا وقد كان لأهل العلم منهج متميز في تعليمهم لطلابهم, من أبرز معالمه:

معاملتهم لطلابهم كأبنائهم

من الله الكريم على بعض أهل العلم, فكانوا آباءً لطلابهم قبل أن يكونوا معلمين لهم, وذلك فضل الله يؤتيهم من يشاء, ومن كان كذلك فإن طلابه سوف يحبونه, ويتقبلون منه في الغالب كل يقول, وقد ورد في سير بعض أهل العلم أنهم كانوا يعاملون طلابهم معاملتهم لأبنائهم :

فالشيخ حمد بن مبارك الحميد رحمه الله, كان كالأب لطلبة العلم.

والشيخ عبدالجبار بن علي البصري كان شيخه إبراهيم بن جديد رحمه الله, ملتفتاً إليه التفاتاً كلياً, مُراعياً له في جميع أموره, حتى كأنه ولده لصلبه, بلا فرق, وأوصى له بشيء من ماله وكتبه.

والشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي رحمه الله, يقول عنه أحد تلاميذه كان لنا كالوالد تماماً في عطفه, وإشفاقه علينا, ولاحظته بأم عيني يجلس على الأكل ويقطع اللحم بالكامل, ويوزعه على طلابه, وفي الليل والجميع يغطُّ في نومه, رأيتُه ينهض ليتفقد أبناءه الطلاب, فيطمئن عليهم ويغطيهم, ثم يعود إلى فراشه رحمه الله.

- (١٩)

والشيخ مقبل هادي الوادعي رحمه الله كان أحرص على الطلاب من آبائهم.

والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ كان لتلميذه الشيخ حسن عبداللطيف محمد المانع رحمهما الله كأبيه يتعاهده بالنفقة والطعام والشراب والسكن ويطلععه على ما ورد إليه من كتبٍ ورسائل ويؤثره على غيره من الطلاب لكونه يتيماً غريباً كفيفاً فقيراً. والشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله، كان لا يخلو بيته من عشرة أنفس إلى خمسين نفساً من الغرباء، الذين يقدون لطلب العلم، وكلهم يُطعمهم، ويتفقد أحوالهم، ويقوم بمصالحهم بنفسه وكأهم جميعاً أبناءه لصلبه. والإمام أبو حنيفة رحمه الله كان يكثر مجالسة طلبته ويخصهم بمزيد الإكرام وصرف العناية في التعظيم.

والقاضي أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رحمهما الله نشأ في طلب العلم وكان أبوه فقيراً فكان أبو حنيفة يتعاهده بمائة بعد مائة.

وقال الحافظ العراقي عن شيخه عبدالرحيم الأسنوي رحمهما الله: كان له إحسان كثير على الطلبة وبرّ خفي لا يعلم به إلا الله تعالى ومن هو على يديه.

والشيخ محمد بن صالح العثيمين اهتم بطلابه، وحرص على تذليل الصعاب التي تواجههم في مسيرتهم العلمية، وخصص للمغتربين منهم سكناً مجانياً، وفرت فيه جمع سبل الراحة، من المأكل والمشرب وغير ذلك.

والإمام إبراهيم بن عبدالواحد بن علي بن مسرور المقدسي رحمه الله، كان يتألف الناس ويلطف بالغرباء والمساكين حتى صار من تلاميذه من الأكراد والعرب والعجم وكان يتفقدهم ويسأل عنهم وعن حالهم.

والشيخ حمد بن فارس رحمه الله كان يواسي الفقراء من طلبة العلم من بيت المال

والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري رحمه الله , كان مكرماً لطلاب العلم ذا شفقة عليهم وتفقد لهم إذا غابوا.

والشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل المبارك رحمه الله كان يجري على طلبه العلم مكافآت شهرية يقتطعها من راتبه الخاص.

محبته لطلابهم محبة عظيمة

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : والحقيقة أن انتقال والدي رحمه الله إلى الرياض كشف لي مدى الحب الذي يكنه لي الشيخ السعدي رحمه الله إذ أصرَّ في طلب بقائي بجواره في عنيزة للاستزادة من العلم وكاتب والدي فوافق فبقيت بجوار شيخنا السعدي وأجدني اليوم متأثر به كثيراً.

والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين رحمه الله, كان يُحِبُّ طالب العلم محبة عظيمة كأنه ولده, بالتودد إليه وتعليمه وإدخال السرور عليه.

السؤال عن طلابهم إذا غابوا وعبادتهم إذا مرضوا

الإمام بقي بن مخلد رحل إلى الإمام أحمد رحمه الله, للأخذ عنه, يقول : اعتللت علة أشفيت منها, ففقدني من مجلسه, فسأل عني فأعلم بعلي, فقام من فوره مقبلاً إلى عاتداً لي بمن معه.

والشيخ نصر بن فتيان بن مطر النهراواني رحمه الله, إذا مرض أحد من تلامذته عاده. والشيخ صالح بن علي الغصون رحمه الله, كان إذا تغيب أحد الطلاب عن الدرس, سأل عنه, وأكثر من السؤال حتى يطمئن على صحته, وحتى يعلم أن المانع من حضوره للدرس كان خيراً.

تبسطهم مع طلابهم

الإمام الطبري رحمه الله كان يخرج مع تلاميذه إلى البراري ويأكل معهم ويبسطهم.

النصح لطلابهم

قال الحسن بن المهيثم البزار رحمه الله : قلت لأحمد بن حنبل : إني أطلبُ العلم وإن أُمي تمنعني من ذلك وتريد مني أن أشتغل بالتجارة قال لي : دارها وأرضها ولا تدع الطلب والإمام الشافعي لما جلس بين يدي الإمام مالك رحمهما الله, وقرأ عليه, أعجبه ما رأى من فور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه فقال له : إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : قال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه, وقد جعلتُ أورد عليه إيراداً بعد إيراد : لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات, مثل السفنجة, فيتشربُ بها, فلا يفتح إلا بها, ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة, تمر الشبهات بظاهرها, ولا تستقر فيها, فإرها بصفائه ويدفعها بصلابته, وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمرُّ عليك, صار مقرأً للشبهات أو كما قال...فما أعلم أنني انتفعتُ بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بهذه...وقال لي يوماً في شيء من المباح : هذه يناي المراتب العالية, وإن لم يكن تركه شرطاً في النجاة, أو نحو هذا من الكلام.

والحافظ ابن حجر, رأى مع تلميذه الإمام البقاعي رحمهما الله, مرة كتاباً يتعلق بالأدب, فقال له: أمسى الليل...يشير إلى قصر العمر عن ذلك وأن مطالعة غيره أولى.

والشيخ عمر بن محمد السبيل رحمه الله, كان إذا رأى من أحد الطلبة المجددين تقصيراً, أو كسلاً, استدعاه إلى مكتبه بالجامعة, وجلس معه, ونصحه, ووجهه لما فيه نفعه, وصلاح أمره, دون أن يشعر بقية الطلبة بذلك.

والشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله, سأله الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ أن يوصيه بكتاب يقرؤه في اللغة, فقال له الشيخ محمود : أقرأ لسان العرب, فقال الشيخ صالح : لسان العرب عشرون مجلداً أريد كتاب آخر, قال الشيخ محمود شاكر : إذا كان عشرون مجلداً كبيراً عليك, فابحث عن شغل آخر غير العلم.. ثم قال : قراناه على شيخنا محمد سيد المرصفي مرتين, وفي الثالثة تويي ولم نكمله.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله : قصة حدثت لي, لا أزال متأثراً بها إلى اليوم, حدثت أيام شبابي, فقد كنتُ محافظاً على الصف الأول في الصلاة, وفي يوم من الأيام تأخرت عن الحضور مبكراً, بسبب القراءة في بعض الكتب لبعض المسائل المهمة, التي شغلتنني عن الصلاة, فلم أدرك الصف الأول, وفاتني بعض الشيء من الصلاة, وحينما سلّم الإمام, وهو قاضي الرياض, الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ, وكان أحد مشايخي رحمه الله, حينما رأني أصلي في طرف الصف, وقد فاتني شيء من الصلاة, تأثر لذلك كثيراً, فحمد الله وأثنى عليه, ثم بدأ يتكلم فقال : بعض الناس يجلس في سواليف ومشاغل, حتى تفوته الصلاة, فعرفتُ أنه يعينني بالكلام, فلم أتأخر بعدها أبداً, وذلك الموقف الذي حصل لي ما أنساه أبداً.

تعليم الطلاب العلم والأدب معاً

الأدب قرين العلم, وعلم بلا أدب, فائدته قليلة, والذي ضرَّ بعض الطلاب وأوقعهم في المزالق عدم اقتران علمهم بالأدب, ولهذا كان أهل العلم يعلمون العلم والأدب معاً: قال الإمام ابن وهب رحمه الله : الذي تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه. وقال الإمام مُهني بن يحيى الشامي السلمي رحمه الله صبحت الإمام أحمد بن حنبل فتعلمت منه العلم والأدب.

وقال الحسين بن إسماعيل رحمه الله : سمعت أبي يقول : كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء على خمسة آلاف, أو يزيدون, أقل من خمسمائة يكتبون, والباقيون يتعلمون منه حسن الأدب. وحسن السمات.

وقال أبو بكر المطوعي : اختلفت إلى أحمد بن حنبل اثنتي عشرة سنة, وهو يقرأ المسند على أولاده, فما كتبت عنه حديثاً واحداً, إنما كنت أنظر إلى هدية وأخلاقه وآدابه.

تحذيرهم لطلابهم من تعلم العلوم التي تضر ولا تنفع

المعلم الرباني هو من يوجه طلابه لطلب العلوم التي تنفعهم, ويحذرهم من طلب العلوم التي تضرهم ولا تنفعهم, ومن تلك العلوم الضارة : علم الفلسفة والمنطق والكلام, ونحوها, وقد حذر أهل العلم طلابهم من تعلم تلك العلوم :

قال محمد بن ياسين بن بشر بن أبي طاهر البلدي رحمه الله :

سئلت الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله, عن النظر في الرأي ؟

فقال : عليك بالسنة فقلت : يا أبا عبد الله صاحب حديث ينظر في الرأي إنما يريد أن يعرف رأي من خالفه فقال : عليك بالسنة.

وسأل رجل أحمد بن حنبل رحمه الله : أكتب كتب الرأي ؟ فقال له : لا تفعل عليك بالآثار والحديث فقال له السائل : إن عبد الله بن المبارك قد كتبها فقال له أحمد : إن ابن المبارك لم ينزل من السماء إنما أمرنا أن نأخذ العلم فوق.

والفقيه غانم بن حسين الموشيلي الأرموي, سأل إمام الحرمين رحمه الله أن يقرأ عليه شيئاً من علم الكلام فنهاه عن ذلك, وقال له : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما قرأته.

وقال المزني رحمه الله : كنت يوماً عند الشافعي أسأله عن مسائل بلسان أهل الكلام, فجعل يسمع مني, وينظر إلى, ثم يجيبني عنها بأخصر جواب, فلما اكتفيت, قال لي : يا بني أدلك على ما هو خير لك من هذا, قلتُ : نعم, فقال : يا بني هذا علم إن أصبت فيه لم تؤجر, وإن أخطأت فيه كفرت, فهل لك في علم أن أصبت فيه أجرت, وإن أخطأت لم تأثم ؟ قلت : وما هو ؟ قال : الفقه فلزمته فتعلمت منه الفقه ودرست عليه

تحذيرهم لطلابهم من الجلوس والأخذ عن أهل الأهواء والبدع

يوجد عند بعض أهل الأهواء والبدع تميز في بعض الفنون, فقد يغترُّ بهم من لا يعرف حقيقتهم, ولذا كان أهل العلم يحذرون طلابهم من الجلوس إليهم والأخذ منهم : قال علي بن خالد رحمه الله, سألت الإمام أحمد, عن الحارث المحاسبي فقال : لا تكلمه ولا تجالس, فلم أكلمه, فقلت : هذا الشيخ يكلمه, فما تقول فيه ؟ فرأيت أحمد أحمر لونه, وانتفخت أوداجه وعيناه, وما رأيته هكذا قط, وجعل يقول : فعل الله به وفعل, فقيل له : يا أبا عبد الله يروي الحديث ساكن خاشع, فغضب أحمد, وجعل يقول : لا يغرك خشوعه ولينه, لا تغتروا بتنكيس رأسه, فإنه رجل سوء, لا يعرفه إلا من قد خبره, لا تكلمه ولا كرامة, كلُّ من حدث بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم, وكان مبتدعاً يجلس إليه ؟ لا وكرامة ولا كرامة ولا نعمة عين.

وقال الشيخ خالد بن صالح النزال استأذنت الشيخ محمد العثيمين في السفر إلى إحدى المدن, للدراسة على أحد علمائها في أصول الفقه, وكان هذا العالم قد عُرفَ بجهله بعقيدة السلف, فنهاني الشيخ رحمه الله من السفر, وقال : ائت لي بالمتن الذي تريد دراسته على ذلك الرجل وسأشرحه في طريقي إلى البيت بعد صلاة الفجر من كل يوم

وسأل طالب الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ : عن الأخذ عن شيخ عنده بدع ؟ فأجابه : ما يصح, المبتدع ما تتحمل عنه, و لا كرامة لست بحاجة إليه تجذ غيره, ثم مسائل الإسناد والإجازات في القرآن أو في السنة, في الحديث فيها نوع تلذذ وفيها نوع ممن يعتني بها نوع تكاثر, وليست كلها عن حاجة شرعية, فتجلس معه وتأخذ منه, ثم يقع في قلبك محبته, وما من معلم يفيدك إلا وسيقع في قلبك محبته, تعرض نفسك للخطر, إذا ما وجدت من يعلمك الواجب إلا هو فهذا أمر آخر.

عدم قراءة بعض الفصول والفقرات من الكتاب المشروح لمصلحة الطلاب

قال الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني : شيخ الإسلام الإمام المجدد عبدالعزيز بن باز له دروسه العلمية...منها : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. قرأ فيه الشيخ عبدالعزيز المشعل في المجلدات الأولى وأذكر أن سماحة الشيخ أمره أن يقفز بعض المجلدات الأولى, وقال : القراءة في كلام أهل الكلام تمرض القلوب, وابن تيمية رحمه الله احتاج لذلك للردّ على أهل الكلام.

تربية الطلاب على إتباع السنة والافتداء بسلف الأمة

قال الإمام إبراهيم الحربي رحمه الله : أحمد بن حنبل ألقى في قلوبنا منذ كنا غلمانا إتباع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والافتداء بالتابعين. والعلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله كان يشرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يمشي أحدكم في نعل واحدة, لينعلهما جميعاً أوليخلعهما جميعاً) [أخرجه مسلم] فسأله سائل فقال : لو كانت النعل الثانية بعيدة عني خطوة أو خطوتين, أفأمشي إليها بنعل واحدة ؟ فقال الشيخ : إن استطعت أن لا تخالف السنة ولو بخطوة واحدة فافعل.

تطبيقهم العملي مع طلابهم لما تعلموه

قال الشيخ عبدالله بن عقيل رحمه الله: لقد كان لنا شرف مرافقة شيخنا الشيخ عبدالرحمن السعدي في الحج عام ١٣٥٧ وطبقنا في تلك الحجة جميع المناسك الفعلية والقولية كما سبق أن قرانها في الدرس.

والشيخ عبدالعزيز السبيل رحمه الله, كان يحرص على تدريب الطلاب على التطبيق العلمي بطرح المسائل الفرضية ليتمرنوا على حلها, وعلى إعراب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشواهد العربية لترسيخ هذا العلم في أفهامهم

تربية الطلاب تربية عملية على عدم الاستعجال في الفتوى

الجرأة على الإفتاء لا تدل على علم, قال الإمام سحنون: أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً, والإفتاء بغير علم جناية عظيمة على الدين, وعلى المفتي, والمستفتي. ولهذا كان أهل العلم رحمهم الله لا يفتون حتى يُشهد لهم بأهليتهم لذلك, قال الإمام مالك رحمه الله: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون بأني أهل لذلك.

وكانوا لا يتعجلون في الفتوى فالإمام البلقيني رحمه الله كان لا يأنف من تأخير الفتوى عنده إذا أشكل عليه منها شيء إلى أن يحقق أمرها من مراجعة الكتب.

وكانوا يربون طلابهم تربية عملية على عدم الاستعجال بالفتوى, فيكثر في كلامهم قولهم في بعض المسائل: لا أدري, أسألوا غيري, أسألوا من يعلم.

قال أبو بكر الخلال رحمه الله: أخبرني زكريا بن يحيى الناقد قال: سمعت أحمد بن حنبل وإنسان يسأله فجعل يقول له: سل من يعلم, سل من يعلم.

قال الصلت بن بهرام رحمه الله ما رأيت أحداً بلغ مبلغ الشعبي أكثر منه يقول لا أدري

قال ابن وهب رحمه الله: لو كتبنا عن مالك: لا أدري لمألنا الألواح.

والفقيه أحمد الدينوري شيخ ابن الجوزي رحمهما الله كان كثيراً ما يقول : لا أدري.
وكان الإمام مالك رحمه الله يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب منها في واحدة.
قال الإمام مالك رحمه الله : ينبغي أن يُورث العالم جلسائه قول " لا أدري " حتى يكون
ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري
وقال الشيخ عبدالعزيز ابن باز عن شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهما الله : كان
واسع العلم ومع ذلك كان يجيب الكثير من السائلين بقوله : (لا أدري) ويحثُّ الطلبة
على عدم التسرع في الإجابة ويقول لهم إن كلمة (لا أدري) نصف العلم.

التعامل بحزم مع الطالب الذي يظهر منه سوء أدب

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله كان قوياً على من يظهر منه شيء من
التكاسل في الطلب, أو سوء أدب مع زملائه, تارة بزجره, والإغلاظ له, وتارة بجرمانه من
الدرس بعض الوقت, وطوراً بإبعاده من الطلبة, وعدم السماح له بالمشاركة.

الحكمة في التعامل مع الطلاب

قال الشيخ ابن باز عن شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهما الله : كان ذا حكمة في
توجيه الطلبة وتعليمهم وكان يرفق بهم في محل الرفق ويقوي عليهم في محل القوة.

اعتذارهم من طلابهم بعدم تدريسهم لفن ليس لهم فيه سعة إطلاع

جاء في ترجمة الشيخ إبراهيم بن محمد ابن ضويان أن تلميذه الشيخ محمد بن عبدالعزيز
بن رشيد رحمهما الله حاول القراءة عليه في النحو فاعتذر بعدم سعة إطلاعه فيه

استشارة الطلاب في الكتب التي تُقرأ في الدرس

الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله كان يستشير طلابه في التي تُقرأ في الدرس
كلما انتهى من كتاب, ومتى اختلفوا كان الحكم بينهم.

استعدادهم وتحضيرهم للدرس قبل إلقائه على الطلاب

الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رحمه الله، كان لا يُقرأ عليه كتاب، إلا إذا راجع ما له من شروحٍ، وحواشٍ، واستوفاهَا مطالعةً، وإذا لم يتمكن من المطالعة لم يسمح للقارئ بالقراءة عليه في ذلك الكتاب.

أعطاء الجوائز للمتفوقين من الطلاب

الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، كان يعطي الجوائز، على حفظ المتنون، وقوة الفهم، والجواب على أسئلته التي يوردها عليهم.

الطلب من الطلاب عدم الاستعجال في السؤال

يقول العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله : لا تستعجل في السؤال حتى ينتهي الكلام على المسألة، فإذا انتهى ورأيت أن البحث انتقل إلى مسألة أخرى، فهات السؤال الذي عندك، وأما التسرع فإنه يقطع على الإنسان ما هيأه من كلام، ويصير من استعجال الشيء قبل أوانه.

التنقل في أوساط الطلاب لإيقاظ الغافل وشحذ الهمم

الشيخ مقبل هادي الوادعي رحمه الله ربما نزل عن كرسیه وتنقل في أوساط الطلاب لإيقاظ الغافل وشحذ همته.

عدم الرد مباشرة على الطالب عندما يخطئ

العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله، عندما يقع القارئ في خطأ نحوي، أو إملائي، لا يرد عليه مباشرةً، بل يأمره بالإعادة، فإن تنبه القارئ للخطأ بنفسه، وإلا بيّنه له.

عقد المناظرات بين الطلاب

الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله, كان يعقد المناظرات بين طلابه, لشحذ أفكارهم, وتعويدهم على إقامة الحججة بالبرهان.

مناقشة الطلاب بعد انتهاء الدرس

الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله, بعد انتهاء الدرس, يطلب من بعض الطلاب إعادة ما يستحضره من الدرس, ليختبر قوة حفظهم, وفهمهم... ويناقشهم بعد مضي يوم عما مضى, وكان لذلك فائدة عظيمة, حيث يهتم الطلاب, إذا علموا أن هناك إعادة لما ذكر وبحث لما قيل.

الإعراض وعدم الإجابة عن بعض الأسئلة إذا كانت غير مناسبة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله, إني رجل شاب, وأنا أخاف على نفسي العنت, ولا أجد ما أتزوج به النساء, فسكت عني, ثم قلت مثل ذلك, فسكت عني, ثم قلت مثل ذلك فسكت عني, ثم قلت مثل ذلك, فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (يا أبا هريرة, جف القلم بما أنت لاقٍ, فاخترص على ذلك أو ذر) [أخرجه البخاري] قال الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي : قوله : (فسكت عني) فيه جواز الإعراض عن السائل وعدم إجابته إن دعت الحاجة إلى ذلك, فله أن يعرض عن السائل ولا يجيب سؤاله, إما لتردد المسئول في الجواب وعدم جزمه, أو أن السؤال غير مناسب, قال شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله : " وكان شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله كثيراً ما يعرض عن بعض الأسئلة, يسأله السائل ويعرض عنه, ويقول للقارئ : سم الله, ويعرض عنه عملاً بهذا الحديث وأمثاله.

تشجيع الطلاب ورفع معنوياتهم

الشيخ السعدي رحمه الله، دائماً يشجع الطالب ويمدحه إذا رأى منه حرصاً، واهتماماً. والشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي رحمه الله، كان يقول لضعيف التحصيل والفهم : أنت أفضل طالب في جدك، وتحصيلك، وفهمك، ما شاء الله تبارك الله، ويعمل كلامه في النفوس الأعاجيب... حتى إنه يلقب طلابه، بالقاضي، والداعية، والمشايخ، وهم لا يزالون في طور الطلب، حفزاً لهم، وشدداً من أزرهم، والعجيب أن كل من كان يلقبهم الشيخ، أصبحوا كما لقبهم في المستقبل قضاةً ودعاةً وعلماء.

قال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل عن شيخه عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله كان يتعاهدني برسائله المتضمنة الكثير من النصائح والدعوات والفوائد. إن هذا المنهج المتميز الذي لا يوجد في أرقى المدارس والجامعات وأكثرها تقدماً وتطوراً، هو الذي أخرج للأمة أجيالاً تفتخر بهم، من علماء، وقضاة، وطلبة علم، ودعاة، ومربين، ومن أهم الأسباب لوجود هذا المنهج المتميز عند العلماء بعد توفيق الله وتسديده : هو إخلاصهم وابتغاءهم الأجر والثواب من الله، فالشيخ عبدالرحمن محمد المقدسي رحمه الله أقرأ كتاب الله احتساباً أربعين عاماً وختم عليه خلق كثير.

والشيخ أحمد بن أبي الحسن رحمه الله ختم عليه القرآن خلق أكثر من ألف إنسان. والشيخ عبدالعزيز محمد المحارب رحمه الله قام بتعليم القرآن أكثر من خمسين سنة. والعلامة ابن عثيمين رحمه الله أمضى أكثر من خمسين عاماً في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. اللهم ارحم أولئك العلماء الأفاضل واجعل ما قاموا به من أعمال في موازين حسناتهم، ووفق جميع المعلمين، والمربين، والداعين إليك للإقتداء بهم.

فصل : اجتهادهم في الطاعة والعبادة

المبادرة إلى فعل الخيرات, والمسارة إلى نيل القربات, من صفات المؤمنين المتقين, قال الله عز وجل : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين [آل عمران: ١٣٠] وقال سبحانه وتعالى : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أُعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [الحديد: ٢١] وهؤلاء هم السابقون يوم القيامة, قال الله جل جلاله : (والسابقون السابقون ~ أولئك المقربون ~ في جنات النعيم [الواقعة: ١٠-١٢] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات... فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير, كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فإن الجزاء من جنس العمل, وكما تدين تدان

الاجتهاد في الطاعة والعبادة من سمات حملة العلم, وهذه نماذج تمثل صوراً مشرقة لهم في ذلك, لعل في معرفتها والاطلاع عليها ما يشحذ الهمم على سلوك طريقهم.

لقد بلغ الاجتهاد ببعضهم أنه لو قيل له : إنك ستموت غداً, ما كان عنده مزيد من الاجتهاد في العبادة, وقد حفلت كتب التراجم بذكر أخبارهم في ذلك.

فالإمام محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن الحارث ابن أبي ذئب رحمه الله كان يجتهد في العبادة فلو قيل إن القيامة تقوم غداً ما كان فيه مزيد من الاجتهاد, والإمام منصور بن زاذان الثقفي رحمه الله لو قيل له إن ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل, والإمام صفوان بن سليم رحمه الله لو قيل له : غداً القيامة ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة.

والإمام حماد بن سلمة رحمه الله لو قيل إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً.

وكان الوليد بن مسلم رحمه الله يقول : ما رأيت أكثر اجتهاداً في العبادة من الأوزاعي ,
وزكريا بن يحيى الناقد رحمه الله لو قيل له : غداً تموت ما ازداد في عمله .
هذا وقد كان حملة العلم اجتهاد في العبادة تمثل ذلك في صور متعددة, منها :

الخشوع في الصلاة

الخشوع في الصلاة, من صفات المؤمنين قال عز وجل : { قد أفلح المؤمنون ~ الذين
هم في صلاتهم خاشعون } [سورة المؤمنون/١-٢] وحملة العلم كانوا حريصين على الخشوع في
الصلاة, فالإمام البخاري رحمه الله كان يصلي, فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة.. فلم يقطع
صلاته فلما قضى صلاته قال : انظروا ما هذا الذي آذاني في صلاتي؟
وقال ابن الأخرم : الإمام محمد بن نصر المرزوي رحمه الله كان يقع الذباب على أذنه في
صلاته, ويسيل الدم فلا يذبه, لقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه.
والإمام عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني النحوي دخل عليه لص وهو في الصلاة فأخذ
جميع ما وجد, والجرجاني ينظر إليه ولم يقطع صلاته.
والموفق ابن قدامة المقدسي رحمه الله جاءه الملك ابن العادل يزوره فصادفه يصلي, فجلس
بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته, ثم اجتمع به ولم يتجاوز في صلاته.
والإمام يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي رحمه الله سُرق رداؤه عن كتفه وهو في
الصلاة ولم يشعر, وُرِدَّ إليه ولم يشعر, لشغله بالصلاة.
والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله دخل منزله لأداء السنة الراتبة للمغرب ولما
كَبُرَ ودخل في الصلاة جاء أحد المرافقين لسماحته وفتح النور فانفجرت إحدى الثريات
وصدر منها صوت شديد وتطاير منها شرر فلم يتحرك, وبعد فراغه من الصلاة وإتيانه
ببعض الأدعية والأذكار قال : ما هذا الصوت ؟ ولم يزد على ذلك.

الحرص على تكبيرة الإحرام مع الإمام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو يعلم ما في النداء والصف الأول , ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا) [متفق عليه]
ملازمة الصف الأول في المسجد , مع الحرص على إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام , من صفات حملة العلم

قال سعيد بن المسيب رحمه الله : ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد .
والإمام ربعة ابن يزيد الإيادي رحمه الله يقول : ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة , إلا وأنا في المسجد .

والإمام الأعمش رحمه الله بقي قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى .

والإمام يحيى بن سعيد القطان رحمه الله ما رأى يطلب جماعة
والقاضي محمد بن سماعة بن عبيدالله بن هلال بن وكيع رحمه الله قال : مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى في جماعة إلا يوماً واحداً ماتت فيه أمة .

صيام النافلة

وردت النصوص بالثواب العظيم والأجر الجزيل لمن يكثر من صيام النافلة , فمن ختم له بصيام يوم كان جزاء ذلك الجنة , فعن حذيفة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (من ختم له بصيام يوم دخل الجنة) [أخرجه البراز]

وقد كان حملة العلم يكثر من صيام النافلة , فمنهم من كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر , ومنهم من كان يصوم الاثنين والخميس , ومنهم من كان يصوم يوماً ويفطر يوماً , وهو أفضل الصيام , أحداً منهم , فصيام النفل صفة غالبية عليهم , وإن كانوا يتفاوتون في عدد الأيام التي يصومونها من كل شهر , ولكنهم يصعب ذكرهم .

تلاوة القرآن الكريم في كل وقت

كتاب الله الكريم : القرآن الكريم كان أنيس حملة العلم, ولذا كانوا ملازمين لتلاوته.
قال ابن وهب رحمه الله : قيل لأخت مالك : ما كان شغل مالك في بيته ؟ قالت :
المصحف التلاوة.

والشيخ صالح بن علي الغصون رحمه الله يقرأ القرآن في أي وقت تسنح فيه القراءة ولو
كان قصيراً كما بين نزوله من السيارة إلى المنزل وكان يردد رحمه الله : إنني أريد أن يكون
القرآن أنيساً لي في القبر.
والشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله كان إذا ركب السيارة وأمسك مقودها بدأ يقرأ القرآن
ويراجع حفظه.

والشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله خصص الوقت من البيت إلى المسجد لمراجعة
حفظه من القرآن الكريم.

والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن غديان رحمه الله سافر من مدينة الرياض إلى الطائف
بالسيارة فلما خرج من البنين بدأ بقراءة الفاتحة وعند دخول الطائف كان في آخر الختمة
قراءة سبع أو ثمان ساعات, وهو يقرأ.

وبعض أهل العلم كان يختم القرآن, كل ثلاث ليال, وبعضهم كل سبع ليال, وبعضهم
كان يختم كل يوم, وإن كان الأولى ختمه كل ثلاث أيام, فعن عبدالله بن عمرو رضي الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاثٍ)
[أخرجه أبو داود والترمذي]

قال العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله : الأفضل أن لا يختم في أقل
من ثلاث....وظاهر السنة أنه لا فرق بين رمضان وغيره.

قيام الليل وطول التهجد

لقيام الليل فضائل كثيرة، وأجور عظيمة، وردت النصوص بها. ومما يُعرفُ به حملة العلم يعرفون قيام الليل، فعن إبراهيم بن شماس رحمه الله قال : كنتُ أعرِفُ أحمد بن حنبل وهو غلام يجي الليل. ومن عَلِمَ عنه خلاف ذلك أنكر عليه، فعن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال : بثُّ ليلة عند الإمام أحمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر إليه فإذا هو كما كان، فقال : سبحان الله رجل يطلب العلم، لا يكون له ورد بالليل. قيام الليل صفة ملازمة لحملة العلم، فتقرأ في سيرهم : كان يلازم قيام الثلث الأخير من الليل، كان يحرص على قيام الليل يصلي ويقرأ ويكي. قال الحاكم، عن الحافظ حسنينك : صحبتته حضراً وسفراً فما رأته ترك قيام الليل من نحو ثلاثين سنة.

والعلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله، من حرصه على قيام الليل، أنه في أحد الأيام دُعي لحضور مناسبة بمدينة جدة، وكان يقيم في مكة، فذهب إليها بعد صلاة العشاء، وحضر المناسبة وحفل العشاء، ثم عاد من ليلته لمكة، ووصل لمنزله في مكة الساعة الثانية ليلاً، وكان من عادته أنه يقوم لصلاة الليل الساعة الثالثة، فظن من كان معه أنه لا يقوم، للجهد والتعب الذي نال منه لكنه رحمه الله قام وأيقظهم لصلاة الليل والعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، سافر يوماً للدعوة إلى الله، ورجع من يومه، قال من رافقه : أنهم ناموا حوالي الساعة الواحدة ليلاً، وأنه عندما استيقظ لقضاء الحاجة، حوالي الساعة الثالثة ليلاً، إذا الشيخ قائم يصلي.

- (٣٦)

كثرة الصدقة

الحنو على الفقراء ومواساتهم وكثرة الصدقة كانت سجية لحملة العلم, مع أن بعضهم كان في فقرٍ, وحاجةٍ, وقلة ذات يد, ومع ذلك كانوا يتصدقون مستبشرين فرحين, يقول زين العابدين رحمه الله إذا جاءه الفقراء : مرحباً بمن يحمل زادنا إلى الآخرة.

قال الشيخ عبدالعزيز الشثري أبو حبيب رحمه الله: الذي أنفق أحبُّ إليّ من الذي أُبقي والشيخ أحمد بن عبدالرحمن بن محمد الصقر رحمه الله, كانت تأتيه الصلوات المتوالية والأعطيات المترادفة فلا يبيت وعنده منها شيء ولا يقتني منها درهماً بل يصرفها على المحتاجين من معارفه وأهله والضعفاء والمساكين من غيرهم.

والحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي رحمه الله كان جواداً يؤثر بما تصل إليه يده سراً وعلانية... كان يخرج في بعض الليالي بالدقيق إلى بيوت المحتاجين فيدق عليهم فإذا علم أنهم يفتحون الباب ترك ما معه ومضى لئلا يعرفه أحد.

والشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر رحمه الله كان يأتيه المال الكثير فلا تغرب شمس يومه ذلك إلا وقد فرقه بين تلاميذه ومستحقيه لا يدخر لنفسه شيئاً وكان ربما يأتيه الفقير يسأله فلا يجد ما يعطيه, فيعطيه أحد ثيابه إذا كان عليه ثوبان.

والشيخ صالح محمد التويجري قال عنه الشيخ عبدالله بن منيع : أبو الفقراء والمساكين وخدام المحتاجين. لو خير بين وجبة طعامه المعتادة وبين مساعدة مُحتاج لاختر الأخريرة

ملازمة المسجد

من السبعة الذين يظلمهم الله يوم القيامة في ظله, رجل قلبه معلق بالمساجد, فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ورجل قلبه معلق بالمساجد) [متفق عليه]

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : خمسة كان عليها الصحابة والتابعون : لزوم الجماعة, وإتباع السنة, وعمارة المساجد, والتلاوة, والجهاد
وكثير من حملة العلم إذا صلى أحدهم صلاة الفجر, جلس في المسجد يقرأ ورده, ثم
يشرع في تلاوة القرآن, إلى أن ترتفع الشمس, ثم يصلي ما شاء الله له.
قال الوليد بن مسلم رحمه الله : رأيت الأوزاعي يثبت في مصلاه يذكر الله حتى تطلع
الشمس ويخبرنا عن السلف أن ذلك كان هديهم فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى
بعض فأفاضوا في ذكر الله والتفقه في دينه.
والشيخ صالح بن عبد الله الزغبوي رحمه الله كان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الفجر حتى
تطلع الشمس ويبقى في المسجد من بعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء.
والشيخ عثمان بن عبد الجبار بن حمد بن شبانه رحمه الله كان لا يخرج من المسجد بين
العشائين يشتغل بالصلاة وقراءة القرآن.
والشيخ فهد بن حمين الفهد رحمه الله كان يذهب إلى المسجد كل يوم ويجلس فيه من بعد
صلاة العصر حتى يصلي العشاء ومكث على هذا الحال لأكثر من عشرين سنة.

المحافظة على صلاة الجماعة وعدم التخلف

من سمات حملة العلم الحرص على صلاة الجماعة, ومن حرصهم أن أحدهم لو فاتته
الصلاة في جماعة بكى.
فالإمام سعيد بن عبدالعزيز التنوخي رحمه الله كان إذا فاتته الصلاة في جماعة بكى,
والشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحصين رحمه الله تقول زوجته أم عبدالله : كان
الشيخ إبراهيم منذ شبابه حريصاً على صلاة الجماعة فإذا فاتته الصلاة مع الجماعة يبكي
ويقول : ما فتني إلا لذنب فعلته.

والعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، كان محافظاً على الصلوات الخمس مع الجماعة، حتى أنه خرج لصلاة الفجر وعمره خمسة عشرة سنة، وكان في المدينة قتال، والناس متحصنين في منازلهم خوفاً على أنفسهم، فقابله بعض الناس وسأله : إلى أين تريد أن تذهب ؟ فقال : لصلاة الفجر، فضربه أحدهم حتى ألجأه إلى الانصراف إلى بيته.

ومن طريف ما يذكر من حرصه على أداء الصلاة مع الجماعة في المسجد، ما ذكره ابنه محمد: أنه في إحدى ليال رمضان لما كان عمره عشر سنوات صلى الفجر في المسجد، وجلس فيه بعد الصلاة وقد أخذه التعب الشديد فغلبه النوم من الإرهاق، ولم ينتبه إلا وإحدى النساء من المصليات توقظه من النوم، وذلك قبل صلاة التراويح من ليلة اليوم الثاني، وتقول له : قم يا وليدي... لا نم هنا، هذا مكان الحريم، وهي لا تعلم أنه نائم من الفجر، فقام وتوضأ وصلى ما فاته، وصلة العشاء والتراويح، رحمه الله.

كثرة ذكر الله

كثرة ذكر الله جل جلاله زاد لكل مسلم، فمنه يستمد قوته بعد عون الله وتوفيقه في القيام بشئون دينه ودينه، قال العلامة ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله : حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى، إلى قرب من انتصاف النهار ثم التفت إليّ وقال هذه غدوتي ولو لم أتعدّ سقطت قوتي أو كلاماً قريباً من هذا وقال لي مرة : لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وراحتها، لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر أو كلاماً هذا معناه.

أسأل الله الكريم أن يوفق ويعين الجميع على الاجتهاد في الطاعة والعبادة.

فصل : برّهم بوالديهم

بر الوالدين من أفضل القربات إلى الله, وأحبّ الأعمال إليه, فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيُّ العمل أحبُّ إلى الله ؟ قال : (الصلاة على وقتها) قلتُ : ثم أي ؟ قال : (بر الوالدين) قلتُ : ثم أي ؟ قال : (الجهاد في سبيل الله) [متفق عليه]

وبر الوالدين كان وصفاً لأولياء الله, وعلى رأسهم : أنبياء الله ورسله عليهم السلام, قال الله جل جلاله عن نبيه عيسى عليه السلام : { وبرا بوالدي } [سورة مريم/ ٣٢] وقال الله سبحانه وتعالى عن نبيه يحيى بن زكريا عليه السلام { وبرا بوالديه } [سورة مريم/ ١٤] ومن أولياء الله أهل العلم, الذين ضربوا بسهم وافر في برهم بوالديهم, في صور متعددة, قد يعجب البعض منها, لكن إذا علم العبد أن أولئك الصفوة يتغنون رضا الله الكريم, ورضاه سبحانه وتعالى مقرون برضا الوالدين, زال عجبه.

لقد ذكر في كتب السير والتراجم, صور من برهم بوالديهم, منها :

ترك الرحلة لطلب العلم إرضاءً للوالدة

الحافظ أحمد بن علي بن مسلم رحمه الله, استأذن أمه في الرحلة إلى الإمام قتيبة, فلم تأذن له, فلما ماتت رحل إليه, فوجده قد مات, وكانوا يعزونه على هذا, فقال : هذا ثمرة العلم, إني اخترت رضا الوالدة.

وبندار بن بشار بن عثمان بن كيسان رحمه الله يقول : أردت الخروج—يعني الرحلة—فمنعتني أمي فأطعتها فبورك لي فيه.

والإمام ابن عساكر رحمه الله, صاحب تاريخ دمشق, سئل عن تأخره عن الرحلة إلى أصبهان فقال : استأذنت أمي في الرحلة إليها فما أذنت.

أعتق رقبتين لأنه علا صوته على صوت والدته

الإمام ابن عون رحمه الله، نادته أمه، فأجابها، فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين.

لا يفعل شيئاً وهو في الستين من عمره إلا برضا والدته

الشيخ علي الجراعي رحمه الله، كان مطيعاً لوالدته، لا يفعل شيئاً وهو بالستين سنة حتى يشاورها ولا يروح موضعاً إلا بإذنها ويخدمها خدمة بليغة.

يتولى جميع شئون جدته

الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحصين رحمه الله، كان باراً بجدته، حيث كان يتولى جميع شؤونها، من إعانتها على الأكل والشرب، وكان إذا أراد الصعود بها إلى سطح المنزل، يقوم برش الماء في السطح، لتلطيف الهواء لها، ويحملها بيديه، وعندما توفيت بكى، فلما سئل عن سبب بكائه؟ مع أنه كان باراً بها أحسن البر، قال: كان البرُّ بها باباً من أبواب الجنة، فلما ماتت أغلق ذلك الباب.

يحمل والدته لقضاء حاجتها

الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله، كان باراً بأمه، فقد كان يحملها لمكان قضاء حاجتها، ولما أُمِّمَّ بها المرض، أصبح ينام معها في غرفتها، ليؤنسها بعد استئذان أهله، وقد استمرَّ مرضها سنتين رحمه الله.

ترك قيادة السيارة مع تمكنه من ذلك إرضاءً لوالدته

الشيخ عبدالرحمن عبدالله الفران رحمه الله، طلبت منه والدته وحلفت عليه بأن يترك قيادة السيارة مع أنه حاصل على رخصة للقيادة ويتقن القيادة إلا أنها رحمها الله خشيت عليه أن يصيبه مكروه فالتزم رغبتها طوال حياته مع أنها شاقة جداً عليه.

يوصل والدته للحرم بنفسه حتى بعد أن أصبح وزيراً

الشيخ حسن بن عبدالله حسن آل الشيخ رحمه الله، كان باراً بوالدته، وكان يوصلها للحرم بنفسه، حتى بعد ما صار وزيراً، وتوفيت رحمها الله، ورأسها على يده اليسرى

يترك الدرس ليخدم ويبرّ والده

الإمام عبدالجليل بن أبي المواهب بن عبدالباقي رحمه الله، كان كثير البر بوالده، وشوهد مراراً، إذا كان في درسه، ومرّ عليه والده، يقوم من الدرس، ويأخذ مداس والده منه، ويمشي خلفه، بأدب، وسكينة، وكان والده يحبه كثيراً، ويحترمه، ويدعو له، لما كان عليه من البر، وملازمة الطاعات، وكف اللسان عن اللغو.

إن هذه الصور دعوة عملية للاقتداء بأولئك، فمن بر بوالديه فليبشر بالجنان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نمتُ فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذاك البرُّ كذاك البرُّ وكان أبرَّ الناس بأمه) [أخرجه أحمد]

ومن بر والديه فرج الله عنه الكرب، دليل ذلك حديث الثلاثة الذين خرجوا إلى البرية، فأخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فجاءت صخرة فسدت عليهم مدخل الغار، فقال بعضهم لبعض: انظروا إلى أفضل أعمال عملتموها فسلوا الله بها، لعله أن يفرج عنكم، فدعوا الله بصالح أعمالهم، فكان أحدهم باراً بوالديه، فدعا الله بذلك، ففرج الله عنهم، وتدحرجت الصخرة عن مخرج الكهف وخرجوا يمشون. [متفق عليه] وهذه الصور كذلك دعوة لمن غلبه هواه وأغواه شيطانه، فقابل إحسان الوالدين بالإساءة، أن يتوب ويعود إلى رشده، فليس المحسن من يقابل الإحسان بالإحسان فتلك مكافأة بالمعروف، ولكنه من يقابل الإساءة بالإحسان فكيف بمن يقابل الإحسان بالإساءة؟! !

إن مقابلة الإحسان بالإساءة، وعقوق الوالدين يدل على خبث الطبع، قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله : غير خاف على عاقل لزوم حق المنعم، ولا مُنعم بعد الحق سبحانه على العبد كالوالدين، فقد حملت الأم بحمله أثقالاً كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة، وبالغت في تربيته وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها لمراداته، وقدمتها على نفسها في كل حال، وقد ضم الوالد إلى تسببه في إيجاد محبته بعد وجوده وشفقته في تربيته، الكسب له والإنفاق عليه، والعاقل يعرف حق المحسن ويجتهد في مكافأته، وجهل الإنسان بحقوق المنعم من أخس صفاته، فإذا أضاف إلى جحد الحق المقابلة بسوء الأدب، دلّ على حُبث الطبع ولؤم الوضع وسؤ المنقلب.

فليحذر العاق من سؤ المقلب، فمن عق والديه فقد عرض نفسه لسخط الله عليه، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين) [أخرجه الترمذي] قال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله : هذا الحديث دليل على فضل بر الوالدين ووجوبه، وأنه سبب لرضا الله تعالى، وعلى التحذير من عقوق الوالدين وتحريمه، وأنه سبب لسخط الله.

عقوق الوالدين كبيرة من كبائر الذنوب، نسأل الله السلامة والعافية، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال : (الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين) [متفق عليه]

من عق والديه فلن ينفع غيره، فالبعد عنه والسلامة من صحبته، قال بعض الحكماء : لا تصادق عاقاً، فإنه لن يبرك وقد عَقَّ من هو أوجب حقاً منك عليه. يعق البعض والديه ثم يموتا وهما غير راضين عنه، ثم يندم على ذلك.

سئل العلامة الشيخ محمد العثيمين : عن شخص توفي والداه, وهما غاضبان عليه, لأنه كان عاقاً لهما, فكان مما أجاب به رحمه الله : هذه القضية عبرة لمن اعتبر, تفيد أن الإنسان العاقل ينتهز الفرصة في القيام بما أوجب الله عليه, لئلا تفوته الفرصة, فقد كان بإمكان هذا السائل أن يكون باراً بوالديه قبل موتهما, ولكنه سوّف وأهمل, وفرط حتى فات الأوان, وانتقلا من الدنيا إلى الآخرة, ولكني أقول له : إن باب التوبة مفتوح, فإذا علم الله من عبده أنه قد ندم على ما صنع, واستغفر ربه, فإن الله تعالى يغفر له, ولا يترتب على فعله السابق شيء مما يكون في تركه وتضييعه, فلا إثم عليه ولا عقوبة. اللهم وفقنا للبر بوالدينا, ومنّ بالهداية على من كان عاقاً بوالديه, ووفقه للإجابة والتوبة

- (٤٤)

فصل : اهتمامهم بتربية أبنائهم

لا يخفي أهمية تربية الأبناء في تنشئتهم نشأةً سالحة، تجعل منهم دعائم أمن لأمتهم، وسلام لمجتمعهم وبناء لأنفسهم وقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنة حائلة الوالدين على حسن تربية الأبناء قال عز وجل [يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شديد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] [التحریم:٦] وقال سبحانه وتعالى : [وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها] [طه:١٣٢] وقال صلى الله عليه وسلم : (كلکم راع وكلکم مسؤول عن رعيتہ) [متفق عليه] وقال عليه الصلاة والسلام : (مروا أولادکم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع) [أخرجه أبو داود] وأهل العلم كانت لهم عناية تامة بتربية أبنائهم، ومن أولئك :

الشيخ عبدالكريم الدرويش (ت ١٣٤٥هـ) رحمه الله.

كان حريصاً على تربية أبنائه تربيةً سالحة، فقد درسهم القرآن، وحفظ بناته القرآن، وكان يوقظ ابنه عبدالله لقيام الليل، ويقول له / أصحاب المزارع قاموا يسقون مزارعهم فقم بنا نسقي آخرتنا، فكان ابنه عبدالله ينام في السجود من طول سجود والده، فإذا استقام من سجوده يحركه برجله فيستيقظ، رحمهما الله وغفر لهما.

له ابن يدعى عبدالله سافر ثم رجع لزيارة والده رحمه الله في الأوطاوية، وقد اشترى له عدداً من الهدايا، فلما دخل على والده، وسلم عليه، أعطاه الهدايا، فقال له الشيخ : أزرت أمك ؟ قال : لا، بدأت بك أولاً، فقال له الشيخ : بل أذهب لأمك أولاً، ولم يقبل منه شيئاً من تلك الهدايا حتى يزور أمه أولاً، فسافر لزيارة أمه، و بقي عندها فترة من الزمن، ثم سافر لوالده، فوجده قد توفي رحمه الله.

- (٤٥)

العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (١٣٧٦هـ)

سئلت إحدى بنات الشيخ رحمه الله مع معاملة الشيخ مع أطفال البيت وخاصة أنها كانت أصغر بناته, فبكت, وقالت : كان الوالد رحمه الله يتودد إليها, ويناديها : النيرة, (القطعة النقدية من الذهب) وقد اشتهرت بهذا الاسم عند أهلها, وكان يحبها, حتى أنه لم يضربها إلا مرة واحدة - ضرباً غير مبرح - لما عرضت نفسها للخطر عند صعودها إلى أعلى مكان في سطح البيت, وكان عمرها سبع سنين, وقالت : لا زلت أذكر تلك الأوقات الجميلة يوم يأتي للغداء, وكنا نجتمع نحن أهل البيت حوله, يأنس بنا ونأنس به, ويتحدث إلينا وتحدث إليه, ويضحكنا ونضحكه.

سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد (ت ١٤٠٢هـ) رحمه الله.

يقول ابنه معالي الشيخ صالح : الشيخ رحمه الله استطاع بتوفيق الله له أن يجمع بين الهيبة والوقار, وخصائص طالب العلم, والأب المربي الحاني الرفيق الشفيق, فإن شئته مهيباً وقوراً محافظاً على الانضباط في البيت فترى من ذلك العجب, وإن شئته أباً حانياً قد انطلق مع أولاده وأهله في أحاديث أسرية ومداعبات مع الصغار بحيث يلتفون حوله ويرغبون في مجلسه ويأنسون بأحاديثه فإنك واجد في ذلك شيئاً كثيراً.

وأكثر ما تكون جلسات الشيخ مع أولاده في مواعيد الطعام, وله جلسه بعد العشاء يتحلق حوله الأهل والأولاد, يتم فيها مجاذبة أطراف الحديث على نحو ما يجري لدى الناس في بيوتهم, غير أن جلسات الشيخ تتميز في كثير منها بحرص الشيخ فيها على التوجيه والتربية وبيان بعض الأمور والأحوال لأبنائه وبناته مما ينبغي أن يتمسكوا به من أهداب الدين, وكريم الأخلاق, وما ينبغي أن يجتنبوه من سيئ الأفعال, وذميم الأخلاق, والبعد عن قرناء السوء.

كما أن الشيخ يُجَمِّل مجلسه الأسري بشيء من الأدب, والحكايات التاريخية, والقصص ذات المغزى, والمقطعات الشعرية.

والشيخ ذو حرص ومتابعة وعناية فائقة في كل ما يجري حوله من شؤون البيت والأهل والأولاد, غير أن له عناية خاصة بأربعة أمور :

أولها : المحافظة على الصلاة جماعة في المسجد, فإن الشيخ في ذلك يقف من أبنائه موقفاً صارماً لا يقبل فيه التساهل أبداً, ويغضب غضباً شديداً, ويؤدب أدباً رادعاً لو حصل تقصير أو تساهل, أجزل الله له المثوبة وتغمده بواسع رحمته.

الثاني : التعليم : فالشيخ كما سبق يجب العلم, ويحرص عليه ويقدره, ومن ثم فقد كان حريصاً جداً على أولاده ليحصوا من العلم قدر طاقتهم, ويبدلوا فيه غاية وسعهم.. فكان يتابعهم متابعة عجيبة, ولا يرضى أن يتخلف أحد عن المدرسة, ولا يتهاون في ذلك أو يتساهل, كما كان متابِعاً لهم في مسئولياتهم المدرسية وواجباتهم المنزلية بشكل عجيب, مع ما أعطاه الله من هيبة في ذلك.

الثالث : القرناء والأصدقاء, لقد كان الشيخ حريصاً على معرفة قرناء أبنائه وجلسائهم وأصدقائهم ومن يرافقهم, وله في المتابعة والمساءلة طريقة خاصة بالأسلوب المباشر وغير المباشر.

الرابع : توجيه أبنائه لحسن استقبال الضيوف والأدب معهم واحترامهم وتوقيرهم والعناية بهم واللباقة في التحدث إليهم, وله في ذلك حسن توجيه ومتابعة.

الشيخ إبراهيم الحسين (ت ١٤١٠) رحمه الله

يقول ابنه عبدالرحمن : كان رحمه الله, هيناً لينا مع أبنائه, فلا أعلم أنه ضرب أحداً منهم, مع ذلك كان لا يتساهل في أمور الدين وخاصة الصلاة, فكان يجاهد جهاداً في إيقاظهم لصلاة الفجر خاصة, ولا يترك البيت إلى المسجد غالباً حتى يستيقظ جميع من تجب عليهم الصلاة... وكان رحمه الله تعالى يحبُّ إقراض الناس ويُربي على ذلك أولاده, ويقول : قرضان بصدقة.... كما كان يكلف كلاً من أبنائه ما يطيقه من عمل, وكان يدر بهم رحمه الله على ما يُطيقونه من أعمال ويشجعهم على ذلك.

قال ابنه أحمد : كان الوالد يحثنا على الصلاة في المسجد النبوي ويُرغبنا في ذلك, وكان يقول : إن الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة في هذا المسجد.

ولا أنسى هذا الموقف من الوالد رحمه الله تعالى, عندما كنّا نذهب إليه في الطائف في الصيف, فقلت له : سأذهب إلى جدة مع بعض الزملاء..فما زاد رحمه الله تعالى على أن قال: يا ابني تعلم أننا في حاجة إليك, والأمر ما تراه..ثم أخرج من جيبه مبلغاً من المال ليعطيني إياه مصاريف لهذا السفر فأثر في هذا الأسلوب وآثر البقاء ولم أسافر.

الشيخ عبدالله الجارالله (ت ١٤١٤هـ) رحمه الله

يقول تلميذه الأستاذ مناحي بن محمد العجمي : كان الشيخ نعم الداعية في بيته ونعم القدوة الحسنة, فلقد تأثر به أبنائه وأهل بيته مما جعلهم من الصالحين, وذلك لكون الشيخ موجهاً وداعياً في بيته بأخلاقه الحسنة وحسن تعامله مع أفراد أسرته.

يقول ابنه محمد : لم يكن للوالد درس معين أسبوعي, ولكنه كلما لا حظ على أحد من أفراد الأسرة شيئاً بادره بالنصح والتوجيه بالحكمة.

الشيخ صالح بن غصون (ت ١٤١٩هـ) رحمه الله

يقول تلميذه الدكتور طارق بن محمد الخويطر : رغم انشغاله ومرضه كان يلاطف الأطفال, ويسلم عليهم, ويقبلهم, ويمازحهم, ويسأل عن أسمائهم, وأذكر أنه اقتطع جزءاً من وقت الدرس لكون أحد الصغار اتصل به وطلب منه موضوعاً في التعبير, فبدأ الشيخ يملئ عليه جملاً في الموضوع الذي طلبه, وكان إملاؤه ببطء حتى يتمكن الصغير من الكتابة حتى اكتمل الموضوع, ثم ودع الشيخ الصغير بالدعاء له بالتوفيق.

اتصل بعض أحفاده بخبره بنجاحه وتفوقه التفت الشيخ بعد أن انتهت المكالمة وقال مازحاً هذا الاتصال ليس للإخبار, وإنما لتجهيز الهدايا والمكافآت. والشيخ رحمه الله كان يحب الأطفال ويحرص على إدخال السرور عليهم, ولهذا كان يحتفظ بالحلوى يوزعها عليهم, ولم يدع هذه العادة المحببة إلى نفسه حتى وهو مريض في المستشفى.

للشيخ أولاد وبنات استفادوا من سيرة والدهم رحمه الله, وتربيته وتوجيهاته وحثه على العلم, وحرصه عليهم, فكان رحمه الله يتصل من عمله ليطمئن على وصولهم إلى البيت وسلامتهم, وحينما كبر الأولاد كان يسمح لهم بالخروج إذا استأذنوه, لكنه يخبرهم أنه لن ينام إلا إذا عادوا, وكان لا يخلد إلى الراحة أو النوم حتى يطمئن عليهم. فكان من ثمار هذا الحرص وهذه التربية أن كان من أولاده الضابط والمدرس والموظف كما أن له من حصل على الدكتوراه وبعضهم على الماجستير.

لحق صلاح الشيخ رحمه الله, أبناءه, فهم به بررة, حياً وميتاً, رأيتهم جميعاً في خدمته كأحسن حال, لا يأنفون من شيء ولا يستثقلون أمراً في أي وقت.

سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ت ١٤٢٠هـ) رحمه الله

يقول تلميذه الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان : أخبرني ابنه أحمد أن الشيخ رحمه الله كان يتصل بالهاتف الداخلي في البيت بأولاده يوقظهم لصلاة الفجر, وكان إذا أيقظهم يُلقنهم : (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) لأن النوم يُغالبهم فيأمرهم بإعادة الجملة النبوية حتى يتأكد أنهم تيقظوا.

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم موسى : كما أن سماحة الشيخ إمام في زهده, وورعه, وعلمه, وكرمه, وأخلاقه, وأحلامه, وشجاعته, ونصحه, فهو كذلك إمام في تعامله مع أبنائه, فهو رحمه الله يعاملهم معاملة الوالد الرحيم, والمربي الشفيق الكبير, حيث كان يحنو عليهم, ويحترمهم, ويقدرهم, ويدعو كثيراً لهم, ويعدل فيما بينهم, ويستجيب لدعوتهم.

ومن عدله بين أولاده وزوجاته أنه جعل لكل من أولاده وزوجاته حساباً خاصاً, فمن احتاج منهم مبلغاً خلاف المصاريف واللوازم الضرورية, وما يحتاجه البيت قيّد ذلك في حساب المحتاج على سبيل القرض, وكذا لو أن أحداً من أولاده احتاج إلى سيارة, أو غيرها دفع المبلغ, وقيّد ذلك في حسابه الخاص.

ومما يدل على عنايته بهم أنه يخصص بوقت يسمع منهم ويسمعون منه, ويسألونه عما أشكل عليهم, وقد خصص لأبنائه وبناته وزوجتيه وقتاً معيناً كذلك.

سئل سماحة الشيخ رحمه الله : هل اخترت لأبنائك طريق الدراسة أم تركت لهم الحرية في اختيار ما يشاؤون في تحصيل العلم ؟

فأجاب : نشير عليهم بما نرى, وقد نُقبل الإشارة, وقد يُختار الفرد منهم شيئاً آخر, نشير عليهم بكلية الشريعة دائماً, وبعضهم قد يُختار كلية أخرى.

- (٥٠)

الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم (ت ١٤٢١هـ) رحمه الله

قال الشيخ عبدالملك عن والده : حرص الوالد رحمه الله, على غرس التوحيد في قلوب أبنائه, وكان يردد ذلك كثيراً لا يحصى, وأمر الصلاة عنده كان مقدم على كل شيء وكان رحمه الله لا يعنف ولا يحبُّ الضرب, وقد سألته يوماً عن الضرب وفائدته من الناحية التربوية, فقال : أبي رحمه الله لم يضربني توفي رحمه الله عادلاً بين أبنائه ومتوازناً في حديثه وعباراته وحركاته وسكناته معهم, وحريصاً على تعلمهم وتعليمهم.

وكان رحمه الله يقول لأخوتي : لا أسمح لكم أن تخرجوا من البيت إذا أذن المؤذن إلا للصلاة, وذلك خوفاً من التهاون فيها أو تضعيها.... وكان رحمه الله يكره إلباس الصغار من الأطفال البنطال والقميص ويقول : حتى لا يتعودون عليه.

الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الفريان (ت ١٤٢٤هـ) رحمه الله

يقول ابنه الشيخ عبدالله : كان رحمه الله وغفر له دائماً يسألنا بين الحين والحين كم نحفظ من القرآن؟...أبناءه وأحفاده كان رحمه الله يشجعهم على الالتحاق بمدارس تحفيظ القرآن أو حلقات التحفيظ في المساجد, ويمسك بأيديهم ويذهب بهم إلى حلقات التحفيظ في المساجد ليروا أسنانهم وما أنجزوا من حفظ, وما حصلوا من جوائز, فيصبح في أنفسهم شيء من التنافس, ويزيد على هذا بأن يضع لهم الحوافز والجوائز منه شخصياً...ويذكرهم بالأجر العظيم لحافظ كتاب الله ومنزلته العظيمة يوم القيامة, والشفاعة التي يختص بها دون المسلمين.

كان رحمه الله يبحث أبناءه دائماً على مواصلة طلب العلم ويدلهم على فضل التعلم. وأيضاً كان يبحث أبناءه الذين أكملوا الجامعة على الالتحاق بوظيفة معلم ويقول - (٥١)

: إن في التحاقك بالتعليم مراجعة لما تعلمته فلا تنساه وتتعلم أكثر... كان من عاداته رحمه الله وأسكنه فسيح جناته أن يتصل بالهاتف على كل بيت تحت ولايته لإيقاظهم لصلاة الفجر ويأمرنا بالاهتمام بصلاة آخر الليل, ويحرص على صلاة الجماعة.

العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله (ت ١٤٣٠هـ)

يقول ابنه الشيخ عبدالرحمن : كان يتعاهدنا بالتربية, ويتفقدنا للصلاة, ويحضنا على الخير, فهو حريص على توجيهنا وإلحاقنا بمدارس تحفيظ القرآن الكريم, كما أنه حريص على اختيار أصحابنا وتوجيهنا إلى طلب العلم.
كان نادراً ما يسلك مسلك العنف.

يقول أخي محمد : كان حريصاً على تعليمنا القرآن الكريم وتحفيظه لنا, بالإضافة إلى السنة, وكان حريصاً على أن نجالس الصالحين.

تقول أختي هيا : أذكر أنه لم يكن يمدُّ يده نحونا بالضرب أبداً حتى تصورت في طفولتي أنه لا يعرف العقاب... لقد كان عنواناً للعطف والهدوء, ولكنه كان صارماً في تربيته إذا أحس أن طفله يحتاج للحزم, الدراسة.. كان يحرص على تفوقنا ويفرح به, كما يسوؤه تأخرنا الدراسي... وبعد أن كبرنا وصار لنا أولاد أصبحت أخواتي يجتمعن في بيته كل أسبوع.. وكانت جلسته قصيرة لكنها نفيسة, يجلس معهن قرابة نصف ساعة, يسألنه فيها عن حاله, وتتخللها الفتاوى والفوائد التي كان ينثرها رحمه الله بينهن.

الشيخ عبدالعزيز بن محمد الوهبي رحمه الله (ت ١٤٣٠هـ)

كان الشيخ رحمه الله, مسافراً في عام ١٤٣٠هـ مع إحدى زوجتيه, ومعهما ثمان من بناته, فقدر الله فوقه له حادثة سير مروع في الطريق ما بين مدينة الرياض ومدينة الدمام, فتوفي الشيخ وزوجته, وثلاث من بناته رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جناته - (٥٢)
للشيخ رحمه الله منهج في تربية بناته, نستشف معالمه من رسائل كتبها ثلاث من بناته

تقول ابنته نوف :

كان - رحمه الله ولوالدي وأخوتي - شديد الحرص على إتقاننا لحفظ القرآن, فكان يمسك المصحف في بعض الأحيان ليسمع لنا بعضاً من الآيات, وقد كان بغضب حينما يرى بعض الأخطاء لتفريطنا, وقد كانت نصائح دائماً ما تترنم في أذني وفي داخلي, ففي إحدى المرات, قال لي : نوف وأنا أبوك عليك بالقرآن, إن حفظته حفظك الله, وإن ضيعته فأنت على خطر عظيم.

وتقول ابنته مها :

أنت معلمي الأول في هذه الحياة ومواقفك معي لا تُنسى... فقد كنتُ تربي فيني مهارة الحفظ, وتحتني على اغتنام أوقاتي في حفظ ما يفدني, ولا زالت أذكر تلك اللحظات التي كنت أسمع لك فيها [لامية ابن تيمية] وتثني عليّ, وبعدها شجعتني على حفظ (وصية الألبيري) وكنت دائماً ما تسألني عن ما حفظته بقولك : كم حفظتي ؟ وتسمعه لي, وتشجعني على حفظ ما بقي من أبيات, فقد كنت نعم الأب ونعم المرابي فجزاك ربي عني خير الجزاء, وغفر لك وأسكنك فسيح جناته ووالدي وأخوتي.

وتقول ابنته : هند :

منذ أن خرجت إلى الدنيا وأنا أتعلم منه في كل يوم درس جديد, حتى بعد وفاته لا زالت أتلقى الدروس, والدي رحمه الله, لم يكن شخصاً عادياً, فمنذ صغري عهدته شديد الحرص على تربيتي ودائماً ما يحثني على حفظ القرآن الكريم. عرفت فيه الغيرة الشديدة, حتى إنه أمرني بلبس العباءة حين بلغت السابعة من عمري... كان أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر في كل أوقاته...

- (٥٣)

لا أستطيع نسيان كلماته عندما توفيت جدتي رحمها الله : الحمد لله على ما قضاه, هذا طريق كلنا سالكينه, اصبري يا بنيتي واحتسبي, ما ندري مين اللي عقبها...المؤمن يصبر ويحتسب ويرضى على ما قدر الله, وهذي أمانة الله وخذها...نزعل إذا ربي خذ أمانته؟ كأنما كلماته عزاء لي فبعدها بخمسة أشهر كان هو أول من فارقنا... أيقنت بعد موته أنّ على الإنسان ترك أثر طيب بعده.

سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل رحمه الله (ت ١٤٣٢هـ)

قال رحمه الله : وأما الكلام على أولادي وذريتي, فأقول متحدثاً بنعمة الله : أحمده تعالى أن وهب لي ذرية صالحة, وأسأله تعالى أن يديم عليهم الصلاح والاستقامة, وجملتهم خمس وثلاثون ما بين ذكر وأنثى, والموجودون الآن ثلاثة عشر ابناً وإحدى عشرة بنتاً, من أربع زوجات...وكانت سياستنا مع الأولاد أصلحهم الله حال صغرهم ما يلي :

- وضعنا لهم جدولاً لأداء الصلوات في المسجد مع الجماعة, لنعرف من صلى فيكتب, ويُعطى مكافأة ويُشجع, ومن تخلف من غير عذر يُجاسب ويُجرم المكافأة.
- علمناهم الأذان, فكل واحد يؤذن يوماً ليشجعوا على مثل هذا.
- عودناهم على الخطابة, بحيث يقوم أحدهم ويخطب ويتكلم بما يريد.
- علمناهم مبادئ الخط والإملاء والحساب وغير ذلك.
- تكليفهم ببعض الأعمال التي يطبقونها كل بحسب حاله, تمريناً لهم عليها.
- إذا احتاج أحدهم إلى شيء فإنه يكتب لي خطاباً يطلب فيه حاجته, حتى يتعلموا الإنشاء وحسن التعبير.

- إعطاؤهم مكافآت, وتشجيعهم كل بحسب ما يقوم به.

- (٥٤)

كتبت ابنته الأستاذة بدرية عن والدها رحمه الله, فقالت :

كان الشيخ مثلاً يحتذى به وسيرة تقتدى كان حازماً في رفق, جاداً في لين يحمل طيب الصفات وجميل الخصال كان لطيفاً محبوباً يرضى أهل بيته ويتعاهدهم في كل شؤونه لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وله فيها توجيه أو نصح أو رأي سديد وكان حازماً معهم في كل ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم يحثهم على تعلم كل ما هو مفيد.

وكان شديد الحرص عليهم خاصة في أمور العبادات, فقد كان يوقظهم للصلاة, ويحثهم على التذكير إليها والحرص على سننها وواجباتها, ويتفقد من غاب عنها, وكان..شديد الاهتمام بالقرآن الكريم وتلاوته وحفظه وإتقانه, فقد كان يضع درساً يومياً بعد صلاة العصر لتدارس كتاب الله وتلاوته...وكان يتعاهد ما حفظوه..كان شديد المحافظة على الأذكار والسنن والآداب...وكان ينصح أبناءه بالمحافظة عليها...وكان كريماً معطاء, كثير المبرات...فيتعاهد أبناءه وأقاربه بالعطايا والهبات...كان حريصاً على تعليم أبنائه طيب الخصال وحسن الأخلاق, فيحثهم على الحلم, والعفو, والتأني وعدم العجلة, والصبر, والإخلاص, والاحتساب, ومقابلة السيئة بالحسنة, وقول الخير, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

هذا ولم يقتصر اهتمام أهل العلم بأبنائهم وهم صغار في السن, بل امتد ذلك ليشملهم وهم كبار في السن, فالشيخ سليمان بن صالح الخزيم رحمه الله, كتب رحمه الله وصية لابنه صالح, قال فيها أوصيك ونفسي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية وأن تجعل الاستعانة به نصب عينيك, فإنه نعم المعين, وأن تحرص غاية الحرص على الجد والاجتهاد في أوقات الفرص من الازدياد من طلب العلم النافع, وسؤال الله تعالى إياه, وأن تتعاهد ما حفظته من القرآن, وأن تحرص على حفظ ما لم تحفظ منه, ومن غيره - (٥٥)

من متون العلم النافعة, وإياك أن تشتغل عن الازدياد من العلم بشيء ما...ونسأل الله لنا ولك التوفيق, وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين, إنه جواد كريم.

وكتب رحمه الله وصية لابنه أحمد عندما انتقل من عمل إلى آخر :

والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى, بامثال أمره, واجتناب نهيهِ, وأن تجعل الاستعانة به على بالك في كل شؤونك, فإنه نعم المعين...وقد قال بعض السلف في الكلام عن الاستعانة بالله دون غيره من الخلق قال : لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه, أو دفع مضاره, ولا معين له على مصالح دينه ودينه إلا الله عز وجل, فمن أعانه الله فهو المعان, ومن خذله فهو مخذول, وهذا تحقيق معنى لا حول ولا قوة إلا بالله, فإن المعنى : لا تجول للعبد من حال إلى حال, ولا قوة له على ذلك إلا بالله...والله يحفظ الجميع والسلام

وقال رحمه الله في وصية ثانية له : وتذكر أنك في العمل مرتاح وموضع تقدير لرؤسائك, هذا من توفيق الله إذا رزق الله العبد حسن سلوك وحسن خلق وتمام عقل فهي من أكبر نعم الله على العبد ومن مواهب الله الجسام لعباده : العقل والدين.

إن من أهم العوامل في تربية الأبناء القدوة الحسنة, فكلما كان المربي قدوة حسنة كان تأثيره أكبر, فيتأثر الأبناء به, يقول الشيخ صالح بن علي الغصون رحمه الله : أنا متأثر بوالديّ, فلي أبوان صالحان, وأهل استقامة والتزام تماماً, وأنا متأثر بهما, وأدعو لهما بالمغفرة والرحمة, وأن يرفع درجاتهما, ويعظم حسناتهما, ولهذا نشأت على المحافظة على الصلوات منذ الصغر, وعلى قراءة القرآن, وكنْتُ أصوم وعمري اثنا عشر عاماً.

ويقول الدكتور طارق بن محمد الخويطر عن الشيخ: بعد وفاة والده نشأ رحمه الله يتيماً فقيراً...وقد عاش رحمه الله في كنف والدته وهي امرأة صالحة فأحسنّت تربيته (٥٦)

حدثني عنها الشيخ مراراً بأنها صاحبة دين, وأنها تصلي كثيراً, وإذا أرخى الليل رواقه, وأسبل ستره, سمع بكاءها وهي تصلي, فتأثر الشيخ بصلاح أمه ودعائها.

قال الشيخ عبدالملك بن قاسم عن والده : أذكر أن أعظم تربية استفدنا منها ورأيناها ظاهرة : القدوة, فقد كان قدوة في العبادة والطاعة وحفظ اللسان وغيرها"

فالقدوة لها تأثير كبير في التربية والتنشئة, فينبغي مراعاة هذا الجانب والاهتمام به من قبل المرابي لغيره من أبناء وغيرهم.

ويلاحظ مما سبق ذكره أن أهل العلم من المعاصرين, كانوا يركزون في تربيتهم لأبنائهم على أمور, من أهمها :

- غرس التوحيد في قلوبهم.
- الاهتمام بالمحافظة على الصلاة, وأن تكون صلاة الذكور جماعة في المسجد, مع الحرص على إيقاظهم لصلاة الفجر.
- الاهتمام بحفظ القرآن الكريم, والالتحاق بحلقات التحفيظ.
- الاهتمام بالدراسة وطلب للعلم, وعدم التخلف عن المدرسة, والتشجيع على طلب العلم الشرعي - التحلي بحسن الأخلاق وكريم الخصال.
- تكليف الأبناء بما يطيقون من أعمال, وتدريبهم على ذلك.

أما الوسائل التي اتخذوها لذلك فمنها :

- ملاطفة الأطفال والحنو عليهم والشفقة بهم والمزاح معهم.
- التعامل معهم باحترام وتقدير. - منحهم الهدايا والجوائز والهبات.
- العدل بينهم. - الحزم مع رفق, والجدُّ من لين. - عدم الضرب إلا في أضييق الحالات
- الشورى وعدم الإلزام في دراسة ما يختارونه من تخصصات في الكليات والجامعات.

- (٥٧)

فصل : تحليهم بمكارم الأخلاق

التحلي بمعالي الأخلاق مما يُحِبُّه الله جل جلاله, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله كريم يُحِبُّ الكرم ومعالي الأخلاق ويكره سفاسفها) [أخرجه الطبراني في الكبير] ومكارم الأخلاق باب واسع, يشمل : كف الأذى عن الناس, والإحسان إليهم بالممكن من الأقوال والأفعال, وتحمل ما يصدر منهم من مستهجن الأعمال, ويصل الأمر إلى التغافل عن من يصدر منهم من أخطاء لكي لا ينجلهم, قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمه الله في كتابه " فصول الآداب " فصل : ومن مكارم الأخلاق التغافل عن ظهور مساوئ الناس, وما يبدو في غفلاتهم, من كشف عورة, أو خروج ریح لها صوت, أو ریح, ومن سمع ذلك فأظهر الطرش أو النوم أو الغفلة ليزيل خجل الفاعل, كان ذلك من مكارم الأخلاق.

لقد أثنى الله عز وجل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام, في قوله تعالى : (وإنك لعلی خُلِقَ عظیم [القلم:٤] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : قال عطية : لعلی أدب عظیم...وعن سعيد بن هشام قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : أُلست تقرأ القرآن . قلت : بلى. قالت : كان خلقه القرآن... قال ابن كثير : ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه... هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل.

قال الله تبارك تعالی : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة [الأحزاب:٢١] فليجاهد الإنسان نفسه للإقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام في مكارم الأخلاق.

والرسول الكريم بُعِثَ ليكمل ما كان عند العرب من أخلاق, قال عليه الصلاة والسلام :
(إنما بُعِثْتُ لِأتمم صالح الأخلاق) [أخرجه أحمد] فما كان عندهم من أخلاق حسنة أقرّها
وزاد عليها, وما كان منها من أخلاق سيئة فنهي عنها وحذر منها.
والإنسان ينبغي له أن يخالف الناس بخلق حسن, فعن أبي ذر ومعاذ رضي الله عنهما أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وخالف الناس بخلق حسن) [أخرجه الترمذي]
ولحسن الخلق فضائل كثير, منها :
أنه أعظم ما يدخل الجنة, فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (أعظم ما يدخل الناس الجنة : تقوى الله, وحسن الخلق) [أخرجه الترمذي]
ومنها : أنه سبب لرفعة الدرجات فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال عليه الصلاة
والسلام : (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) [أخرجه أبو داود]
ومنها : أنه من أثقل الأشياء في ميزان العبد يوم القيامة, فعن أبي الدرداء رضي الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم
القيامة من حسن الخلق) [أخرجه أبو داود]
وصاحب الخلق الحسن من أحبّ الناس وأقربهم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام يوم
القيامة فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال (إن من أحبّكم
إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) [أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق]
وصاحب الخلق الحسن من أكمل الناس إيماناً, فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) [أخرجه الترمذي]
وحسن الخلق مما تُكسبُ به القلوب, لما حضرت الوفاة أحد السلف جمع بنية, وقال لهم
: عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنوا إليكم, وإن مُتُّم بكوا عليكم)

والمسلم عليه أن يجاهد نفسه ليتحلى بمكارم الأخلاق, فنتحتاج لمجاهدة وصبر, فعن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنه تمحها وخالق الناس بخلق حسن) [أخرجه الترمذي] قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : وقوله صلى الله عليه وسلم : (وخالق الناس بخلق حسن) هذا من خصال التقوى, ولا تتم التقوى إلا به, وإنما أفردته بالذكر, للحاجة إلى بيانه, فإن كثيراً من الناس يظنُّ أن التقوى هي القيام بحقوق الله, دون حقوق عباده, فنص على الأمر بإحسان العشرة للناس, والجمع بين حقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً, لا يقوى عليه إلا الكُمل من الأنبياء والصديقين.

قال أحد السلف لبنية : يا بني, إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقكم إليها اللثام, ولكنها كريهة مرة لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها ورجا ثوابها.

التحلي بمكارم الأخلاق نعمة عظمي من نعم الله على عباده, وقد كان أهل العلم على جانب كبير منها, قال الشيخ عبدالله البسام عن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمهما الله : له أخلاق أرقُّ من النسيم, وأعذبُ من السلسيل, لا يُعاتب على الهفوة, ولا يؤاخذ بالجفوة, يتودد ويتحجب إلى البعيد والقريب, يُقابل بالبشاشة, ويحیی بالطلاقة, ويُعاشر بالحسنى, ويجالس بالمنادمة, ويُجاذب أطراف أحاديث الأنس والودِّ. وقد يَسِّر الله الكريم أثناء القراءة في كتب السير والتراجم, جمع شيءٍ من الأخلاق التي تميز بها أهل العلم, المتقدمين منهم والمتأخرين, ومن تلك الأخلاق والآداب :

سلامة الصدر

لقد جاءت الأدلة بتحريم التحاسد والتباغض والتدابير, وبكل ما يؤدي إليها, لأنها آفات مهلكة للفرد, مفرقة بين أفراد المجتمع, مدمرة لأواصر ترابطه, وسلامة بنيانه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تحاسدوا, ولا تناجشوا, ولا تباغضوا, ولا تدابروا, ولا يبيع بعضكم على بيع بعض, وكونوا عباد الله إخوانا, المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)[أخرجه مسلم]

سلامة الصدر من الأدواء المهلكة خلق ينبغي لكل مسلم العناية به, فيحرص أن يكون سليم الصدر من الحقد والغل والحسد والبغض والعداوة والشحناء والقطيعة والهجر, يعينه على ذلك بعد توفيق الله عز وجل له, أمور منها :

علمه : أن أفضل الناس سليم الصدر, فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أفضل ؟ قال : (كُلُّ مَحْمُومِ الْقَلْبِ, صدوق اللسان) قالوا : صدوق اللسان نعرفه, فما محموم القلب ؟ قال : (هو التقي النقي, لا إثم فيه ولا بغي وغل وحسد) [أخرجه ابن ماجه]

ومنها : الدعاء, قال الله عز وجل : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم [الحشر: ١٠] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي بغضاً وحسداً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو : (ربِّ تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي)[أخرجه أبو داود] قال الإمام ابن الأثير رحمه الله : السخيمة : الحقد في النفس

ومنها : صوم رمضان مع صوم ثلاثة أيام من كل شهر, لقول النبي عليه الصلاة والسلام : (صوم شهر الصبر, وثلاثة أيام من كل شهر, يذهبن وحرَّ الصدر) [أخرجه أحمد] قال الإمام ابن الأثير رحمه الله : وحر : غشَّه ووساوسه, وقيل : الحقد والغيط, وقيل : العداوة, وقيل : أشدَّ الغضب.

ومنها : قراءة السيرة النبوية, ففيها نماذج عظيمة لسلامة صدر رسول الله صلى عليه وسلم من كل حقد وضغينة, تدفع للإقتداء به عليه الصلاة والسلام
لقد كان أهل العلم سليمة صدورهم لغيرهم, فلا يحسدون ولا ييغضون ولا ييغون, ومن أولئك :

الإمام عبدالله بن محمد بن مغيث بن عبدالله الأنصاري رحمه الله قال ابنه يونس : سمعت أبي رحمه الله يقول : أوثق عملي في نفسي سلامة صدري إني آوي إلى فراشي ولا تأوي إلى صدري غائلة لمسلم.

والشيخ حمد بن فارس رحمه الله ذو قلب سليم نصوح لكل مسلم في حياته.
قال الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان حفظه الله : سألت الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله, وقلت له ما معناه : يا شيخ عبدالعزيز ما أعلم أحداً إلا يُجَبِّك, صغيراً, أو كبيراً, ذكراً أو أُنثى, فما السِّرُّ يا شيخ في ذلك ؟... فقال ما معناه : ما أعلم في قلبي غيلاً على أحد من المسلمين ولم أعلم بين اثنين شحنة إلا سارعتُ بالصلح بينهما.

الصمت وقلة الكلام إلا فيما ينفع

قال الإمام الشافعي رحمه الله : كنتُ باليمن فقرأتُ على باب صنعاء مكتوب :
احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبانُ
للصمت فوائد ذكرها أهل العلم, منها : السلامة, قال القاسم بن عثمان العبدي رحمه الله :
الحصن الحصين: الصمت وفيه السلامة والعافية, وقال الإمام أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي رحمه الله : أدنى نفع السكوت السلامة.
ولكثرة الكلام بدون نفع وفائدة, أضرار ذكرها أهل العلم :

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباحة, وقال الإمام أبو بكر عياش الأسدي رحمه الله : أدنى ضرر المنطق الشهرة وكفى بها بلية. لقد كان من صفات أهل العلم قلة الكلام إلا فيما يرجون منه النفع, قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما ينفعه. وممن عرفوا بطول الصمت :

الإمام الصالحى رحمه الله عُرِفَ بالصامت لكثرة سكوته عن فضول الكلام. والشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل المبارك رحمه الله كان صموتاً, قليل الكلام إلا فيما ينفع, فإذا تكلم في مسألة أبلغ وأسمع وودَّ سامعه لو أطل. والشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله كان كثير الصمت لا يخوض في كل حديث... كثيراً ما تمضي جلسة طويلة دون أن يتحدث فيها بكلمة... لكنه كان إذا تكلم رحمه الله أجاد وأفاض... وأصغى له الجميع. والصمت عن ما لا ينفع يحتاج لصبر ومجاهدة, قال الإمام أبو المعتمر البصري رحمه الله : تعلمت الصمت في عشر سنين.

الحلم

الحليم يعرف عند الغضب, قال خالد بن صفوان رحمه الله : ثلاثة يعرفون عند ثلاثة : الحليم عند الغضب, والشجاع عند اللقاء, والصديق عند النائبة. والحلم يحتاج لمجاهدة النفس وتعويد وتدريب لها مع الصبر, قال الأحنف بن قيس رحمه الله : لست بحليم ولكني أتحالم.

العلم مع الحلم خلق عظيم, قال الإمام الشافعي رحمه الله : زينة العلماء الورع والحلم. وقال حبيب بن حجر القيسي رحمه الله : ما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم.

وقد جاء في تراجم بعض أهل العلم, أن من صفاته : أنه كان هادئ الطبع, لا تستفزه المؤثرات, ولا ينتقم لنفسه, وكان حليماً على الجاهل, لا يعرف الغضب في وجهه. وممن عرفوا بالحلم : الإمام ابن عون رحمه الله, كان لا يغضب, فإذا أغضبه رجل قال : بارك الله فيك.

والحلم عاقبته حميدة فقد كان بين حسن بن حسن وابن عمه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب, رضي الله عنهم, شيء مما ترك الحسن شيئاً إلا قاله, وعلي ساكت, ثم ذهب الحسن, فلما كان في الليل ذهب علي إلى الحسن, فقال : يا ابن عمي إن كنت صادقاً فغفر الله لي, وإن كنت كاذباً فغفر الله لك, فالتزمه الحسن وبكى حتى رثى له.

قال هشام بن عروة رحمه الله : قال أبي : رُبَّ كلمة ذل احتملتها أورثني عزاً طويلاً قال أبو المعتمر البصري رحمه الله: ما قلتُ شيئاً قط إذا غضبت أندم عليه إذا زال غضبي والشيخ صالح بن أحمد الخريصي رحمه الله, كان من أظهر صفاته الحلم والأناة, وهما الخصلتان اللتان يجبهما الله ورسوله, فلم يكن يغضب لنفسه قط... دخل عليه في المحكمة رجل, له معاملة تتعلق بطلاق زوجته, فأغلظ على الشيخ القول, فقيل له : أن يتلطف بأسلوبه فتبسم الشيخ صالح وقال لمن طلب منه التلطف: دعه يقول ما في نفسه والشيخ صالح بن عبدالعزيز بن هليل رحمه الله, اشتهر عند الناس بالحلم والأناة, حتى أن الخصوم ليرفعون أصواتهم عنده ولا يغضبه ذلك.

الورع

قال حمدان بن ذي النون رحمه الله : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في ورعه وحفظ لسانه, وقد نهي الإمام أحمد رحمه الله ولديه وعمه عن أخذ العطاء من مال الخليفة فاعتذروا بالحاجة فهجرهم شهراً لأخذهم العطاء.

والإمام محمد بن عبدالرحيم بن عبدالواحد بن أحمد المقدسي رحمه الله، كان يحفر مكاناً في جبل الصالحية لبعض شأنه، فوجد جرة مملوءة دنانير، وكانت زوجته معه تعينه على الحفر، فاسترجع وطمّ المكان، كما كان أولاً، وقال لزوجته : هذه فتنة، ولعل لها مستحقين لا نعرفهم، وعاهدها على أنها لا تشعر بذلك أحداً ولا تتعرض إليه، وكانت صالحة مثله فتركاً ذلك تورعاً، مع فقرهما وحاجتهما وهذا غاية الورع والزهد.

والشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين رحمه الله، عندما كان رئيساً لرئاسة الحرمين، كان يصلي في أماكن بعيدة عن الإمام، مع أنه بحكم منصبه يستطيع أن يصلي خلف الإمام في كل فرض، من باب الورع في حجز مكان له.

الرجوع إلى الحق والاعتراف به

الرجوع عن الخطأ والاعتراف به من سمات أهل العلم، لأنهم جعلوا خوف الله بين أعينهم، فسهل عليهم الرجوع إلى الحق، والاعتراف به إذا تبين لهم، فهم كما قيل في أحدهم : مُنصف مُنقاد إلى الحق، ولهم مواقف كثيرة في ذلك :

قال الإمام الدارقطني رحمه الله : حضرتُ في مجلس الإمام محمد بن القاسم بن محمد الأنباري يوم الجمعة، فصَحَّف اسماً فأعظمتُ له أن يُحمل عنه وهماً، وهبته فلما انقضى المجلس، عرقتُ مستمليه، فلما حضرتُ الجمعة الآتية قال للمستملي : عرّف الجماعة أنا صحَّفنا الاسم الفلاني ونبهنا ذلك الشاب على الصواب.

والشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن محمد بن عمر العمري رحمه الله كان رئيساً للمحكمة الشرعية بالمدينة النبوية.. أصدر حكماً وبعث به إلى أمير المدينة آنذاك ثم ظهر للشيخ فيه خطأ فذهب بنفسه إلى قصر الإمارة وشطب رأيه بنفسه وألغاه.

والشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله, سئل عن مسألة فقهية, فأفتى فيها بغير المشهور, ولما تبين له الصواب, رجع إليه, ونبه على ذلك الخطأ, وأورد الصواب في مجلة الشهاب, وقد كان يكفيه أن يوضح تلك المسألة للسائل فحسب, لكنه علل صنيعه قائلاً: أردت أن تكون لكم درساً في الرجوع إلى الحق.

والشيخ الألباني رحمه الله, كثيراً ما كان يرجع إلى الحق, عندما يتبين له, بل ويشكر من دلّه على ذلك, ويقول: رحم الله عبداً دلني على خطئي, وأهدي إلي عيوبِي, فإن من السهل عليّ -ياذن الله وتوفيقه- أن أتراجع عن خطيِّ تبين لي وجهه.

البعد عن الظهور والشهرة

حب الشهرة والظهور آفة ينبغي لأهل العلم أن لا يفتروا من ملاحظة أنفسهم في ذلك, قال الإمام الذهبي رحمه الله: ينبغي للعالم أن... لا يفتتر عن محاسبة نفسه فإنها تحب الظهور والثناء.

وما صدق من أحبَّ الشهرة, قال أيوب رحمه الله: ما صدق عبد قط فأحبَّ الشهرة. فالصادق مع الله المخلص له, لا يحب الظهور والبروز, قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: من طلب العلم لله كان الخمول أحبَّ إليه من التطاول.

ومن علامات حب الشهرة والظهور بالنسبة للقراء ما ذكره الإمام الذهبي, يقول رحمه الله: إذا رأيت الإمام في المحراب لهجاً بالقراءات وتتبع غريبها فاعلم أنه فارغ من الخشوع محب للشهرة والظهور نسأل السلامة في الدين.

إن من صفات أهل العلم البعد عن الشهرة والظهور, قال الإمام الذهبي رحمه الله: إيثار الخمول والتواضع وكثرة الوجل من علامات التقوى والفلاح.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : أريدُ أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف قد بُليتُ بالشهرة, أشتهى مكاناً لا يكون فيه أحد من الناس وكان إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد, وكان يحب الخمول, والانزواء عن الناس, وقال لعمه : يا عم طوي لمن أخمل الله ذكره, وأوصى أحد طلابه : أخمل ذكرك فإني قد بُليتُ بالشهرة والإمام إبراهيم النخعي رحمه الله كان يتوقى الشهرة. والإمام خالد بن معدان رحمه الله كان إذا عظمت حلقتة قام خوف الشهرة. وحب الظهور يؤدي في الغالب للعجب وهو داء مهلك, قال ابن المعتز رحمه الله : العجب شر آفات العقل.

الزهد في الدنيا

قال رجل للإمام محمد بن واسع رحمه الله : أوصني قال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة قال : كيف ؟ قال : ازهد في الدنيا. قال الإمام مالك رحمه الله : بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا, وأتقى, إلا نطق بالحكمة. قال بشر الحارث رحمه الله : ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت, ومن زهد فيها أحب لقاء مولاه. قال الربيع رحمه الله : قال لي الشافعي : عليك بالزهد, فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلبي على المرأة الناهد. قال الإمام الشافعي رحمه الله : لو أوصى رجل بشيءٍ لأعقل الناس صُرفَ إلى الزهاد. قيل للإمام أحمد قيل له كيف يُعرف العالم الصادق؟ فقال : الذي يزهد في الدنيا ويقبل على أمر الآخرة وكان أحمد ينكر على أهل العلم حب الدنيا والحرص عليها...أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء..إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وأيام قلائل.

قال الفيضل رحمه الله : علامة الزهد في الناس إذا لم يحب ثناء الناس عليه, ولم يبالي بمذمتهم...وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس, إذا كانت محموداً عند الله, ومن أحب أن يذكر لم يذكر, ومن كره أن يُذكر ذُكر.

لقد حفلت كتب السيرة والتراجم بصور من زهد أهل العلم في الدنيا وملذاتها, قال ابن عيينه رحمه الله : دخل هشام الكعبة, فإذا هو بسالم بن عبدالله فقال : سلني حاجتك, قال : إني أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره, فلما خرجا قال : الآن سلني حاجتك, فقال له سالم : من حوائج الدنيا, أم من حوائج الآخرة ؟ فقال : من حوائج الدنيا, قال : والله ما سألت الدنيا من يملكها, فكيف أسألك من لا يملكها ؟

والشيخ بدر المغازلي رحمه الله, باعت زوجته دار لها بثلاثين ديناراً, فقال لها : نفرق هذه الدنانير في إخواننا, ونأكل رزق يوم بيوم ؟ فأجبتة إلى ذلك, وقالت : تزهد أنت ونرغب نحن ؟ هذا لا يكون.

والشيخ يعقوب بن محمد بن سعد رحمه الله, تعين إماماً وخطيباً ومرشداً وواعظاً ومدرساً بجامعة برزان, وهو من أشهر جوامع مدينة حائل, وظل سنين في هذه الوظائف, بدون مقابل أجر إلا من الله.

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله, كان يأخذ من راتبه مصروف الشهر, ويوزع الباقي, قال ابنه عبدالله : كان يحذرنى من الدنيا كثيراً, ويقول الكفاف منها يكفي, والشيطان ربما سؤل للإنسان جمعها ليتصدق بها, وهو تلبيس, أهدى إليه أحد الأمراء بيتاً في الطائف, فرده ولم يقبله, وكان لا يعرف فئات العملة الورقية, وكان يقول : لقد جئت من البلاد (شنقيط) ومعى كنز قل أن يوجد عند أحد, وهو القناعة, ولو أردت المناصب لعرفت الطريق إليها, ولكني لا أؤثر الدنيا على الآخرة.

والشيخ محمد بن مقبل بن علي بن مقبل رحمه الله, كان يرفض أخذ المخصصات التي تصرف للقضاة من بيت المال, ويأكل من مزرعته...ولقد أرسل له الملك عبدالعزيز عبدالرحمن آل سعود رحمه الله بهدايا فردها وقال للرسول : تجدون لها أحوج مني.

والشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط رحمه الله, سجل للإذاعة المصحف الشريف كاملاً, إلا أنه أبي أن يأخذ المكافأة المقررة للقارئ الكبار أمثاله وقدرها ستون ألف ريال, وهو مبلغ كبير في وقته, محتسباً عمله ذلك لوجه الله تعالى.

والشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين رحمه الله, لم يأخذ مكافأة عندما كان عضواً في إحدى الهيئات الشرعية في إحدى البنوك الإسلامية...ورفض أخذ أموال مقابل عمله في قسمة تركة الملك سعود رحمه الله.

والشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله, جاء تعيينه مشرفاً من الناحية العلمية على المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٣, وكان تعيينه براتب شهري ألف ريال, وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت, ولكن الشيخ رحمه الله أرسل لهم أنه على استعداد للإشراف على المعهد حسبة لوجه الله, وأنه لا يريد أن يكون له على ذلك أجر مادي وقبلوا ذلك.

والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله, رفض أخذ المكافأة المالية التي تصرف لمن يكون له مشاركة في وسائل الإعلام, وتبرع بجائزة الملك فيصل المالية التي منحت له- وهي ثلاثمائة ألف ريال- لدار الحديث الخيرية بمكة, وعرضت عليه الحكومة أن يكون له موكب خاص وسيارات رسمية في موسم الحج لتجنب الزحام فرفض, وقال : أقف إذا وقف الناس وأمشى إذا مشوا, ووهبته الحكومة أرضاً عظيمة في أغلى المواقع على طريق العزيزة بمكة, فلم يرغب بدخولها في حسابه الخاص, بل اختار أن يكون مسجداً جامعاً كبيراً.

- (٦٩)

ولقد عرض الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود على الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمهما الله، أن يشتري له منزلاً فاعتذر، واستأذن أن يدفع المال لبناء مسجد ومرفق خيري كمكتبة في جوار المسجد بدلاً من أن يبني له منزلاً.

التواضع

التواضع محمود شرعاً وطبعاً، قال الله عز وجل : [تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين] [القصص: ٨٣] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما تواضع لله أحد إلا رفعة) [أخرجه مسلم] قال الإمام النووي رحمه الله : فيه.. وجهان : أحدهما : يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويجلّ مكانه، الثاني : أن المراد ثوابه في الآخرة، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا.

قال الإمام ابن المبارك رحمه الله : كان يقال : الشرف في التواضع

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : التواضع من أخلاق الكرام.

قال الإمام السفاريني رحمه الله في شرحه لمنظومة الآداب للمرداوي : كان يقال ثمرة القناعة الراحة، وثمره التواضع المحبة، وقال لقمان لابنه : يا بني تواضع للحق تكن أعقل الناس، وقال بعض الحكماء إذا سئل الشريف تواضع وإذا سئل الوضيع تكبر.

قال الإمام ابن حبان البستي رحمه الله : الواجب على العاقل لزوم التواضع، ومجانبة التكبر، ولو لم يكن في التواضع خصلة تُحمد إلا أن المرء كلما أكثر تواضعه ازداد بذلك رفعة لكان الواجب عليه أن لا يتزيا بغيره.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آية في التواضع, فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم, إنما أنا عبد, فقولوا : عبدُ الله ورسوله) [أخرجه البخاري]

وعن أنس رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه فقالت له : إن لي إليك حاجة, فقال : (اجلسي في أيّ طريق المدينة أجلس إليك) [متفق عليه] وعن عمرة قالت : قيل لعائشة رضي الله عنهما : ماذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ؟ قالت : كان بشراً من البشر, يفلي ثوبه, ويحلب شاته, ويخدم نفسه. [أخرجه أحمد] وفي رواية : كان يخيّط ثوبه ويخصف نعله.

وكان عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف من عبيده, وسار قوم خلف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فنظر إليهم غاضباً وقال لهم : ارجعوا فإنها فتنة للمتبع وذلة للتابع.

وقال ثابت بن أبي مالك : رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب, وهو يومئذ خليفة لمروان فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك.

وعلى دريهم سار أهل العلم الربانيون, فقد زخرت كتب السيرة والتراجم بذكر صور من تواضع أهل العلم, تمثل ذلك في أقوال وأفعالهم, قال الإمام أيوب السدياني رحمه الله : إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل.

والحافظ عبدالرحمن بن مندة قال عنه ابن أخيه يحيى بن عبدالوهاب: قرأت على عمي قول شعبة : من كتبت عنه حديثاً فأنا له عبد فقال : من كتب عني حديثاً فأنا له عبد. والحافظ ابن خيرون قال عنه ابن أخيه أبو منصور رحمهما الله : كتبوا مرة لعمي : الحافظ فغضب وضرب عليه وقال : من أنا حتى يكتب لي الحافظ.

والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، كان يلي حاجته بنفسه، قال ابنه أحمد: كان أبي ربما خرج إلى البقال، فيشتري الجزرة من الحطب، والشيء فيحمله بيده.

قال له إسماعيل الثقفي رحمه الله: ائذن لي أقبل رأسك فقال: لم أبلغ أنا ذلك.

وقال يحيى بن معين رحمه الله: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، صحبناه خمسين سنة، ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

والإمام أبي جعفر الطبري رحمه الله، كان لا يباهي بحفظه، وعلومه، وذكائه، وفطنته، ولم يكن يفاخر في نقاشه ومناظرته.

والإمام إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي رحمه الله قال يوسف بن عبدالمنعم المقدسي كنتُ أكتبُ: الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع فخاصمني على ذلك خصومة كثيرة.

والشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله كان يقوم ببعض الأعمال كغسله لملايسه.

وسأل الشيخ الشثري الشيخ سعد بن عتيق رحمه الله عن مسائل فقال سؤال مثلي يدل على انقراض العلم وانتقال أهله لما اتصفنا به من قلة العلم وقصور الفهم.

وقال الشيخ ابن جبرين عن شيخه الشثري رحمه الله كان على جانب كبير من التواضع بعيداً كل البعد عن سمات الكبر والاعتزاز فهو يجالس الفقراء ويحنو عليهم.

والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله كان يقول: أنا جالسٌ أعلم وأتعلّم، وإذا سئل عن مسألة وليس عنده علم منها، قال: لا أدري، وإذا كان عنده أحد من أهل العلم سأله عن المسألة التي لا يعلمها ولو كان المسئول أقلّ علماً من سماعته بكثير.

وقال الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله: أنا طُوبِلب علم.. وهأنا ذا بعد أن سلخْتُ من عمري قُرابة الستين عاماً ماشياً في ركاب هذا العلم الشريف أعود بالنظر والتهديب والتقريب فيه وكأني لا زلْتُ على أول مدرجته.

ويقول الشيخ عائض القرني : دخلت مرة على الشيخ ابن عثيمين في مكة في مسكنه أيام الحج فوجدت بيده إبره يخيط بها ثوبه.

والشيخ عبدالرحمن بن عبدالله آل فريان رحمه الله, كان يجلس مع البسطاء والمساكين, ويشرب معهم الشاي ويحدثهم..ويبدأ بالسلام على الضعاف والمساكين قبل المديرين. والشيخ عمر بن محمد السبيل رحمه الله, عند خروجه من الجامعة, يقابل عند البوابة بعض الطلبة, الذين ليس لديهم وسيلة مواصلات, فكان يحملهم جميعاً في سيارته ويوصلهم بنفسه...قال الشيخ عبدالله الدميجي عنه : عرفته أماً وزميلاً في الدراسة ثم أستاذاً جامعياً ثم إدارياً مسئولاً وكان عمر الطالب هو عمر الأستاذ هو عمر العميد لأعرق كلية في المملكة هو عمر إمام وخطيب المسجد الحرام لم تغيره الألقاب ولم تؤثر فيه المناصب وهذا هو ديدن العلماء.

قال الشيخ عبدالكريم الخضير عن الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل رحمه الله : هو عجب من العجب آية في التواضع إذا جلس معك أشعرك أنه هو المستفيد وأنت المفيد...تواضع عجيب لا تراه في الصغار ولا الكبار.

والشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين رحمه الله, زار الشيخ صالح الفوزان, فلما سلّم عليه, جلس حيث انتهى به المجلس على الأرض, فقام الشيخ صالح الفوزان إليه, وقدمه وأجلسه بجواره, وقال : يا شيخ صالح لقد درستني في المعهد العالي للقضاء, فقال له الشيخ الحصين : لستُ أهلاً لذلك لكن أتوا بي لسدّ فراغ الجدول فقط, وعندما كُتِبَ أمام اسمه "معالي" [وهو معالي] شطب على لفظ معالي وقال: لا معالي ولا مطامي.

قال الشاعر : تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدهان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

الصدق

الصدق من أشرف مكارم الأخلاق, وفضائله كثيرة, قال يوسف بن أسباط رحمه الله :
للصادق ثلاث خصال : الحلاوة والملاحة والمهابة.

من كان صادقاً مع الله وخلقه لم يصبه في الغالب هرم ولا خرف, قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله : قلَّ ما كان رجل صادقاً ليس بكاذب, إلا مُتَّع بعقله, ولم يصبه ما يصيب غيره, من الهرم والخرف.

ومن صدق مع الله ارتفع وذُكِر, وقال الإمام المروزي رحمه الله : قلتُ لأحمد بن حنبل :
يَمَ نال من نال حتى ذُكر به ؟ فقال لي : بالصدق, وسمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله وذكر
له الصدق والإخلاص فقال أبو عبد الله : بهذا ارتفع القوم.

ومن صدق نجاه الله من الشدائد قال الإمام أبو زرعة رحمه الله قلت لأحمد بن حنبل :
كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟ فقال لو وضع الصدق على جرح لبرأ
وربعي بن حراش بن جحش بن عمرو العبسي كان له ابنان عاصيان في زمن الحجاج
فقبل للحجاج : إن أبوهما لم يكذب كذبة قط, لو أرسلت إليه فسألته عنهما, فأرسل إليه
فقال : أين ابنك ؟ فقال : هما في البيت, قال : عفونا عنهما بصدقك.

وأهل العلم والإيمان من أبعد الناس عن الكذب, قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : ما
كذبت منذ علمتُ أن الكذب بضراً أهله.

(اللهم اهدي لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها, لا
يصرف عني سيئها إلا أنت) [أخرجه مسم] (اللهم كما حسنت خلقي فحسن خُلُقِي)
[أخرجه أحمد] (اللهم إني أعوذ بك من منكرات اخلاق والأعمال والأهواء) [أخرجه الترمذي]

فصل : العفو عمن ظلمهم وآذاهم

الله جل جلاله من أسمائه الحسنی " العفو " قال عز وجل : (وإن الله لعفو غفور [الحج:٤] وقال سبحانه وتعالى : : (إن الله كان عفواً غفوراً [النساء:٤٣] وقال عز وجل : (وكان الله عفواً غفوراً [النساء:٩٩]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (النونية)

وهو العفوُ فعفوهُ وسع الوری لولاهُ غار الأرض بالسكان

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : " العفو " من أسماء الله تعالى..والعفوُ هو المتجاوز عن سيئات عباده مع القدرة على الانتقام منهم, ولهذا جمع بينهما في قوله : (إن تبدوا خيراً أو تحفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً [النساء:١٤٩] والعفو مع القدرة هو الذي يُمدح, أما العفو مع العجز فهو نقص...إذن العفو هو المتجاوز عن سيئات العباد, كما قال تعالى: (وهو الذي يقبلُ التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات [الشورى:٢٥]

فإن الله عز وجل لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً, وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً, ولولا عفوهُ ما ترك على ظهرها من دابة, قال العلامة السعدي رحمه الله : والتقصير الواقع من الخلق يقتضي العقوبات المتنوعة, ولكن عفو الله ومغفرته تدفع هذه الموجبات والعقوبات, فلو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعفو ولا يعاقب, سُئلت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما, عن حُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالت : لم يكن فاحشاً, ولا متفحشاً, ولا سخاباً في الأسواق, ولا يجزي بالسيئة السيئة, ولكن يعفو ويصفح. [أخرجه الترمذي وغيره]

والعفو من مكارم الأخلاق، ومن معالي الآداب، من رزقه فقد رزق خيراً كثيراً، وهو سبب لعلو المنزلة، ورفعة الدرجة، فعن الحسن رحمه الله قال : كانوا يقولون : أفضل أخلاق المؤمنين العفو .

ومن عفي عن ظالمه فليشتر بالأجر الكبير من الله الكريم قال عز وجل : { وجزاء سيئةٍ سيئةً مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين } [سورة الشورى/٤٠] ومن عفي عن غيره، زاده الله بذلك عزاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) [أخرجه مسلم]

ومن عفي عن غيره ارتاح وطابت نفسه، قال الإمام الشافعي رحمه الله :

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ أرحت نفسي من غمّ العدوات

ومن عفي عن غيره تعرض لأسباب عفو الله عنه، فهو جل جلاله عفو يُحِبُّ من يعفو عن عباده، فمن رام عفو الله عز وجل عنه، فليعفو عن ظالمه، قال العلامة السعدي رحمه الله : ومن أخصّ أسباب العفو والمغفرة : أن الله يُجازي عبده بما يفعله العبد مع عباد الله، فمن عفي عنهم عفي الله عنه، ومن غفر لهم إساءتهم إليه وتغاضي عن هفواتهم نحوه غفر الله له، ومن ساءحهم ساءحه الله .

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : وهو عز وجل يحبُّ العفو، وقد علّم النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة أن تقول حين سألته ماذا تقول إن وافقت ليلة القدر ؟ أن تقول : (اللهم إنك عفو تُحِبُّ العفو فاعف عني)...فهو يُحِبُّ أن يعفو عن عبده، ويحبُّ من العبد أن يعفو عن إخوانه، قال الله تعالى: (وإن تعفوا وتصفحوا

وتغفروا فإن الله غفور رحيم [التغابن:١٤]

- (٧٦)

ومن صفات أهل الجنة العفو عن الناس, قال الله سبحانه وتعالى: { وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين ~ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين } [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: { والعافين عن الناس } يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد وهذا أكمل الأحوال ولهذا قال: { والله يحب المحسنين } فهذا من مقامات الإحسان.

ولقد ضرب أهل العلم أروع الأمثلة, في العفو عن ظالمهم, ابتغاء الأجر والثواب من الله الكريم, ومن أبرز العلماء الذين عفوا عمن ظلمهم:

الإمام مالك بن أنس رحمه الله

فقد ضربه أحد خلفاء الدولة العباسية فعفي عنه, وقال: والله ما ارتفع منها سوط على جسمي إلا وأنا أجعله في حلٍ من ذلك لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

قال محمد بن عبدالله الخرقى رحمه الله: بثُّ ليلة مع أحمد بن حنبل, فلم أراه ينام إلا يبيكي إلى أن أصبح, فقلت: يا أبا عبدالله, كثر بكأوك الليلة فما السبب؟ فقال لي: ذكرت ضرب المعتصم إياي, ومرَّ بي في الدرس { وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله } [سورة الشوري/٤٠] فسجدت وأحللتها من ضربي في السجود, وقال: كل من ذكرني ففي حلٍ إلا مبتدعاً, وجاءه رجل فقال له: يا أبا عبدالله أنا كنتُ ممن حضر ضربك يوم الدار, وقد أتيتك فإن أحببت القصاص فأنا بين يديك, وإن رأيت أن تحلني فعلت, فقال: على أن لا تعود لمثل ذلك, قال: نعم, قال: قد جعلتك في حلّ.

قال أبو الفضل صالح : قال لي أبي : مررت بهذه الآية { فمن عفا وأصلح فأجره على الله } [الشورى: ٤٠] فنظرت في تفسيرها, فإذا هو ما حدثني به هاشم بن القاسم, حدثني المبارك, حدثني من سمع الحسن, يقول : إذا جثت الأمم بين يدي رب العالمين يوم القيامة, ونودوا : ليقم من أجره على الله عز وجل, فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا, قال أبي : فجعلت الميت في حلٍّ من ضربه إياي, ثم جعل يقول : وما على رجل ألا يعذب الله تعالى بسببه أحداً.

الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله

قال أبو بكر بن كامل صاحب أبي جعفر الطبري رحمه الله : حضرت أبا جعفر حين الوفاة, فسألته أن يجعل كل من عاداه في حلٍّ... فقال : كل من عاداني, وتكلم عني في حلٍّ, إلا رجلاً رمانى ببدعة.

الحافظ عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله

قال : كل من بيني وبينه شيء, فهو حل, إلا من رمانى ببغض علي رضي الله عنه.

الشيخ عبد الإله بن عمر بن أبي بكر المقدسي رحمه الله

أنكر منكرًا فضربه الذي أنكر عليه, وكسر ثنيتيه, ثم أنه مُكِّن منه, فلم يقتص منه.

الإمام إبراهيم عبدالواحد المقدسي رحمه الله

خرج مرة إلى قوم من الفساق فكسر ما معهم فضربوه ونالوا منه حتى غشي عليه فأراد الوالي ضرب الذين نالوا منه, فقال : إن تابوا ولزموا الصلاة فلا تؤذهم وهو في حلٍّ من قبلي, فتابوا ورجعوا عما كانوا عليه.

الإمام المزي رحمه الله

قال الإمام الذهبي : آذاه أبو الحسن بن العطار وما رأيته يتكلم فيه ولا فيمن آذاه.

- (٧٨)

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رحمة واسعة, عالم قلَّ أن يوجد مثله, له صفات وسجايا كثيرة, كُتبت فيها المؤلفات, منها : عفوه عن ظالمه, فقد سجن بسبب خصومه الذين نابذهم ما عليه في الاعتقاد والسلوك, فلما قدر عليهم عفا عنهم, قال القاضي ابن مخلوف المالكي : " ما رأينا أتقى من ابن تيمية, لم نبق ممكنا في السعي فيه, ولما قدر علينا عفا عنا"

وكان رحمه الله يقول : أنا أحللت كل من آذاني, ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه قال تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله : جئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه, وأشدهم عداوة وأذى له, فنهزني, وتنكر لي, واسترجع, ثم قام من فوره إلى بيت أهله, فعزاهم, وقال : إني لكم مكانه, ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه, ونحو هذا الكلام, فسروا به, ودعوا له, وعظموا هذه الحال منه, فرحمه الله ورضي عنه. قال العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله : من نظر في سير المصلحين وما أُلّف من كتب مفردة في إذابتهم مثل كتاب " المحن " لأبي العرب وغيره لم ير عالماً لحقه من صنوف الأذايا من سجن وغيره مثل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى... وكان سجنه سبع مرات, أربع بمصر بالقاهرة والاسكندرية, وثلاث مرات بدمشق, وجميعها نحو خمس سنين, وجميعها كذلك باستعداد السلطة عليه من خصومه.

إلى أن قال رحمه الله : السجنة الثانية : كان مما جرى فيها أن أخاه الشرف, ابتهل ودعا الله عليهم... فمنعه الشيخ وقال له : بل قل : اللهم هب لهم نوراً يهتدون به إلى الحق.

- (٧٩)

فلله ما أعظمه من أدب جم, وما أعظمه من خلق رفيع, وهضم للنفس, وبحث عن الحق, وإن هذه - وأيم الله - فائدة تساوي رحلة, وأين هذه من حالنا إذا نيل من الواحد

شيء غضب وسخط, وجلب أنواع الدعاء على عدوه, فاللهم اجعل لنا ولمن آذانا فيك نوراً نتهدي به إلى الحق.

الإمام الشوكاني رحمه الله

آذاه بعض الناس, وسعى للتأليب عليه, لكنه لم ينجح, ثم إن هذا المؤذي أُصيب بفقر مُدقع, وفاقة شديدة, وكان يفتد إلى الشوكاني يشكو حاله وما هو فيه من الجهد والبلاء, فكان الشوكاني يبذل جهده في منفعته وسدّ فاقته, يقول رحمه الله : وهكذا جماعة من... المبالغين في إنزال الضرر بي, أرجعهم الله إلى راغمين وأحوجهم لمعونتي مضطرين, فلم أعاقب أحداً منهم بما أسلفه, ولا كافيته بما قدمه.

الشيخ أبو الوفاء ثناء تسري رحمه الله

خرج للمسجد فتعرض له شاب من القبورين يريد قتله, فضربه بجديدة على قفا رأسه, فجرح الشيخ جرحاً شديداً ثم شفاه الله, وبرئ وعاد لعمله أما الشاب فتم القبض عليه وحُكم عليه بالسجن أربع سنوات مع الأشغال الشاقة فسجن, فلما علم الشيخ ثناء أن عائلته ليس لهم من ينفق عليهم بعده عيّن لهم راتباً شهرياً طوال بقاء مدة بقائه في السجن فلما خرج من السجن جاء للشيخ وشكره واختار التمسك بالكتاب والسنة.

الشيخ عبدالرحمن الأفريقي رحمه الله

قام أحد أعدائه بشيخ رأس ابن له, وقُبض عليه وسُجن, وكان فقيراً, فشفع فيه الشيخ فلم تُقبل شفاعته, فأنفق الشيخ على عائلته حتى خرج من السجن, فلما عرف ذلك تاب إلى نفسه, وعاد إلى الحق.

- (٨٠)

الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد رحمه الله

وجد مجموعة من الشباب على لهُو طرب وغناء, فأنكر عليهم فقابلوه بالأذى والسباب, فبلغ ذلك من له سلطة في تأديبهم, فخيّر الشيخ في أن يؤدبهم أو يعفو عنهم فرغب رحمه الله في العفو والصفح عنهم, والدعاء لهم بالصلاح.

الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله

كان موصوفاً بالحلم والتسامح, يُروى إن إحدى الجماعات الصوفية المنحرفة, التي ضاقت ذرعاً بمواقفه, أو عزت... إلى نفر من أتباعها باغتياله.. غير أن الغادر الذي همّ بهذه الجريمة لم يفلح في تنفيذها ووقع في قبضة أعوان الشيخ.. إلا أن أخلاق الشيخ العالية جعلته يعفو وينهى أصحابه عن الفتك به.

الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله

وشيّ به بعض للناس, وطُلب للحضور لمدينة الرياض, وذهب للرياض وبفضل من الله وكرمه تلاشت هذه الوشاية, وعاد الشيخ لبلده عنيزة, فكانت أول دعوة لبها لتناول القهوة, هي دعوة أحد الذين وشوا به.. أما بقية الذين وشوا به فأراد الناس الانتقام منهم, ولم يوقف هذا عنهم إلا الشيخ, الذي صار يبدي لهم الأعداء, ويصفهم بالمجتهدين, وأنهم لم يقصدوا إلا الخير.

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله

دخل عليه رجل كبير من الجهال, واختلف معه في أمر, فتكلم الرجل على الشيخ, ونال من عرضه, والشيخ ساكت لا يرد عليه, ثم سافر الشيخ, وتوفي الرجل, فلما عاد الشيخ أُخبر بموته, فترحم عليه, وصار يدعو له, وذهب إلى قبره, وصلى عليه ودعا له. اللهم يا كريم ارزقنا الاقتداء بمؤلاء, واجعلنا ممن يعفو عن ظلمه وآذاه.

- (٨١)

فصل : منهجهم في التصنيف والتأليف

تصنيف وتأليف الكتب من وسائل حفظ العلم, ونقله من جيل إلى آخر, فنفع المصنفات عظيم, وزمان نفعها طويل, وهاهي الأجيال تستفيد من كتب ومصنفات من سبقها, من مئات السنين, وتصانيف العالم ولده المخلد كما ذكر أهل العلم, وما يصنفه العالم إذا كان مفيداً فهو صدقة جارية يبقى له أجرها بعد موته, ومن فضل الله الكريم أنّ أجر وثواب ذلك لا يقتصر على من صنف المصنفات فقط, بل يدخل في ذلك كل من ساهم في إخراجها وطباعتها ونشرها وتعليمها, تقول اللجنة الدائمة للإفتاء في بلاد الحرمين الشريفين في الفتوى رقم (٢٠٠٦٢) : طباعة الكتب المفيدة التي ينتفع بها الناس في أمور دينهم ودنياهم هي من الأعمال الصالحة التي يثاب الإنسان عليها في حياته ويبقى أجرها ويجرى نفعها له بعد مماته, ويدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم فيما صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث, إلا من صدقة جارية, أو علم ينتفع به, أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم في صحيحه والترمذي والترمذي والنسائي والإمام أحمد, وكل من ساهم في إخراج هذا العلم النافع يحصل على هذا الثواب العظيم سواء كان مؤلفاً له أو معلماً له أو ناشراً له بين الناس أو مخرجاً أو مساهماً في طباعته, كل بحسب جهده ومشاركته في ذلك.

التصنيف المفيد نعمة عظيمة من الله جل جلاله على عبده, ليس كل أحد يُوفق لها, يقول العلامة ابن الجوزي رحمه الله : وليس المقصود جمع شيء كيف كان, وإنما هي أسرار يطلع الله عز وجل عليها من شاء من عباده وبوفقه لكشفها, فيجمع ما فرق أو يرتب ما شئت, أو يشرح ما أهمل, هذا هو التصنيف المفيد.

- (٨٢)

لقد كان لأهل العلم منهج في التصنيف, تمثل في صورٍ متعددة, من أهمها :

الإخلاص في التصنيف

التصنيف له أغراض متنوعة, منها : إرضاء السلطان والقرب منه, ومنها الحصول على المال, ومنها نيل الجاه, ومنها الرغبة في الشهرة, إلى غير ذلك, وهذه المقاصد كان أهل العلم يعيدون عنها فقد كان مقصدهم من تصنيفهم أن يكون لله عز وجل خالصاً فالإمام البخاري رحمه الله افتتح كتابه الصحيح بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) قال الإمام الكرماني رحمه الله : إنما أورد البخاري هذا الحديث قبل الشروع في أبواب الكتاب.. إعلماً بأن هذا المصنف منويّ فيه الإخلاص لله تعالى مجنب عن الأغراض الدنيئة والرياء.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله : قد اعترض على المصنف في إدخاله حديث الأعمال هذا في ترجمة بدء الوحي, وأنه لا تعلق له به أصلاً.* قال ابن رشيد : لم يقصد البخاري بإيراده سوى بيان حسن نيته في هذا التأليف.

وقال الإمام العيني رحمه الله : أراد بهذا إخلاص القصد, وتصحيح النية, وأشار أنه قصد بتأليفه (الصحيح) وجه الله تعالى, وقد حصل له ذلك.

وقال الإمام النووي رحمه الله : بدأ البخاري بهذا الحديث, وإن لم يترجم له لأن عادة السلف ابتداءً المصنفات به تنبيهاً للطلاب على تصحيح النية.

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله : به صدر البخاري كتابه الصحيح...إشارة منه إلى كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة.

لقد ذكر أهل العلم بأن مقصدهم من تأليفهم أن يكون خالصاً لوجهه الله تعالى :

قال الإمام الكرمانى رحمه الله, فى مقدمة كتابه " الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى " عن تصنيفه : وما توسلت به إلى غرض دنيوى, من مال, أو جاه, أو تقرب من سلطان, أو خليفة... بل جعلته لله, ولوجهه خالصاً.

وقال الشاطبى صاحب قصيدة حرز الأمانى ووجه التهاني : لا يقرأ قصيدتى هذه أحد إلا نفعه الله عز وجل بما لأنى نظمته لله تعالى مخلصاً له فى ذلك.

ومن كان تصنيفه لله رفعه الله, وبقيت مصنفاته ينتفع بها الناس :

قال الإمام الكرمانى رحمه الله عن صحيح البخارى : لما صحح فيه النية, وصفى فيه الطوية, جعل الله تعالى كتابه علماً من أعلام الإسلام, وقال عنه الإمام العيني رحمه الله : أعطى هذا الكتاب ما لم يعط غيره من كتب الإسلام وقبله أهل المشرق والمغرب.

وقد صنف الإمام مالك رحمه الله الموطأ, فعمل من كان فى المدينة يومئذ من العلماء الموطأت, فقليل له : شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب, وقد شركك فيه الناس وعملوا أمثاله, فقال : ائتوني بما عملوا, فأبى بذلك, فنظر فيه ثم نبذه وقال : لتعلمن أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله, فكأنما ألقىت تلك الكتب فى الآبار, وما سمع لشيء منها بعد ذلك بذكر

ودخل المزنى يوماً على الشافعى, وكان يصنف كتاباً, فقال له : رحمك الله إن أصحاب مالك وأصحاب أبى حنيفة صنفوا الكتب الكثيرة... فقال له : يا إبراهيم نُصنّف ويُصنّفون, وما كان لله تعالى يبقى إلى الدهر, وقد سئل أبو موسى الضرير عن كتب الشافعى كيف سارت فى الناس ؟ فقال : أراد الله بعلمه رفعه الله.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله عن منصفات الإمام الشيرازى : انتشرت تصانيفه شرقاً وغرباً لبركة إخلاصه.

التصنيف لحاجة الناس وليس للتكاثر أو الاستكثار

التصنيف والتأليف في عصرنا في كثير منه ليس لحاجة الناس إليها, وإنما لحاجة المصنف للكتابة من أجل الظهور والانتشار, والحصول على المال والجاه, ونيل المناصب والألقاب, وسماع المدح والثناء, ولهذا كثرت المؤلفات لكن المفيد النافع منها قليل, وأهل العلم يؤلفون لحاجة الناس يقول الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ عن مؤلفات الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : مؤلفاته المتنوعة إنما كانت بحسب حاجة الناس إليها, ليست للتكاثر, أو للاستكثار, أو للتفنن, وإنما كتب فيما الناس بحاجة إليه, فلم يكتب لأجل أن يكتب, ولكن لأجل أن يدعو, وبين الأمرين فرق.

الاستخارة عند التصنيف

لقد كان من منهج بعض أهل العلم الاستخارة عند تصنيفهم للكتب :
قال الإمام ابن عقيل رحمه الله : الإمام الشيرازي ما صنف مسألة إلا بعد صلى ركعتين
قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله : استخرت الله تعالى في عمل كتب التفسير.
وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله : كنت إذا أردت أن أصنف الشيء دخلت الصلاة
مستخيراً حتى يفتح لي فيها ثم أبتدئ التصنيف.
وقال القاضي ابن أبي يعلى رحمه الله في مقدمة كتابه " طبقات الحنابلة " : هذا كتاب
استخرنا الله في تأليفه.
وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله في مقدمة كتابه لطائف المعارف فيما لمواسم العام من
الوظائف : وقد استخرت الله تعالى في أن أجمع في هذا الكتاب

- (٨٥)

سؤال الله عز وجل الإعانة على التصنيف

العبد إذا لم يكن له من الله عون وتسديد وتوفيق, فإن أول ما يقضي عليه هو اغتراره بنفسه, وعدم افتقاره لربه, وكان أهل العلم يسألون الله عز وجل الإعانة في التصنيف, قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله : سألت الله العون على ما نويته من تصنيف التفسير, قبل أن أعمله بثلاث سنين فأعاني.

وقال القاضي ابن أبي يعلى رحمه الله في مقدمة كتابه " طبقات الحنابلة " : هذا كتاب..سألنا الله المعونة على تصنيفه.

وقال الإمام الحاكم رحمه الله : شربُ ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف.

عدم الاستعجال في إخراج المصنفات

قال الإمام ابن جماعة رحمه الله : لا يخرج تصنيفه من يده قبل تهذيبه وتكرير النظر فيه " وعلى هذا سار أهل العلم فهم لا يستعجلون في إخراج مصنفاتهم.

قال الإمام البخاري رحمه الله : صنفت كتيبي ثلاث مرات.

والتصنيف الجاد عمل يحتاج لجهد كبير, ووقت طويل, قد يصل لسنين عديدة, ولا يخرج من ذلك إلا من منحه الله موهبة عظيمة على التصنيف كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي ذكر أنه صنف كتابه العظيم : العقيدة الواسطية, في جلسة بين المغرب والعشاء, فذلك فضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء, نسأل الله من فضله وجوده وكرمه لقد مكث بعض أهل العلم في التصنيف أعواماً عديدة.

فممن مكث أربعين سنة :

الإمام مالك رحمه الله في كتابه : الموطأ.

- (٨٦)

والإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه : غريب الحديث.

و الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه : الإصابة في تمييز الصحابة

والشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور رحمه الله في كتابه : التحرير والتنوير .
والشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله في حاشيته على كتاب : الروض المربع شرح زاد
المستقنع .

وممن مكث ثلاثين سنة .

الإمام ابن عبدالبر رحمه الله في كتابه : التمهيد .

والإمام المزني رحمه الله في كتابه : تهذيب الكمال في أسماء الرجال .

ومحمد حمزة الفنري الرومي رحمه الله في مصنف له في أصول الفقه .

وممن مكث أكثر من خمس وعشرين سنة .

الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه : فتح الباري شرح صحيح البخاري .

والشيخ محمد عبدالخالق عزيمة رحمه الله في كتابه : دراسات لأسلوب القرآن الكريم .

وممن مكث عشرين عاماً

الإمام المزني رحمه الله في مختصره في الفقه .

وممن مكث خمسة عشر عاماً .

الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله في كتابه : الصحيح .

والزجاج النحوي رحمه الله في كتابه : معاني القرآن .

والإمام محمد السجستاني رحمه الله في كتابه : نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن .

والإمام الشيرازي رحمه الله في كتابه : المهذب .

والإمام السرخسي رحمه الله في كتابه : المبسوط .

- (٨٧)

فما أحسن التأني في التصنيف, وعدم الاستعجال في إخراج المؤلفات, قال الدكتور
عبدالرحمن العثيمين رحمه الله : أنا أكتشف كل يوم جديداً, وكلما تعمقت في البحث

وتوسعت في دائرة التحري, تبين لي أنني كنت في أوائل البحث.. فأحمد الله تعالى على أنني لم أنشر ما توصلت إليه, وإن كان كثيراً ونافعاً, لكن كثرة البحث والتحري والجمع المتأني أكثر نفعاً وأعظم فائدة.

التعب وبذل الجهد من أجل جودة التصنيف

لقد بذل أهل العلم جهدهم في التصنيف, قال الإمام الطبراني رحمه الله عن كتابه المعجم الوسيط : هذا الكتاب روعي.. لأنه تعب عليه, وقال الإمام المزني رحمه الله عن مختصره في الفقه مكثت في تأليفه عشرين سنة وألفته ثلاث مرات وغيرته

عرض مصنفاتهم على أهل الاختصاص

بعد أن ينتهي العالم من التصنيف يقوم بعرض مصنفه على أهل الاختصاص لأخذ رأيهم فيه فالإمام البخاري رحمه الله بعد أن صنف كتابه الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل, ويحيى بن معين, وعلي بن المديني, رحمه الله, فاستحسنوه, وشهدوا له بالصحة, إلا في أربعة أحاديث, قال العقيلي رحمه الله : والقول فيها للبخاري وهي صحيحة. والإمام ابن ماجه القزويني رحمه الله عرض كتابه السنن على علي أبي زرعه الرازي. والإمام أبو داود السجستاني رحمه الله عرض كتابه السنن على الإمام أحمد بن حنبل فاستجادة واستحسنه.

سؤال الله عز وجل أن ينفع بمصنفاتهم

بعد أن يبذل العالم وسعه في التصنيف, يسأل الله جل جلاله أن ينفع به, قال الإمام البخاري رحمه الله : أن أرجو أن يبارك الله تعالى للمسلمين في هذه المصنفات.

(١٨٨)-

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله : الإمام الترمذي سأل الله عند فراغه من كتابه-العلل- النفع بما فيه وأن لا يجعله وبالاً عليه برحمته.

ومن العجيب أن بعض أهل العلم صنفوا وهم في السجن, فالإمام السرخسي رحمه الله أملا كتابه المبسوط وهو في السجن, وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أملى بعض مصنفاته وهو في السجن, وبعضهم صنف في حال سفره, فالإمام ابن القيم رحمه الله صنف كتابه " زاد المعاد في خير المعاد " في حال سفره بعيداً عن مكتبته.

(١٩)-

فصل : صور من الابتلاء لهم في دين الله

الإمام أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله

قُتِلَ لامتناعه عن القول بخلق القرآن.. قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : رحمه الله ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه

الإمام نعيم بن حماد رحمه الله

حمل من مصر مع الفقيه أبي يعقوب البوطي إلى بغداد في محنة القرآن.. مقيداً فحبساً بسامرا حتى مات نعيم.

الإمام البوطي رحمه الله

قُيِّدَ بالسلاسل إلى أنصاف ساقيه وغلَّت يديه إلى عنقه... وذلك لأنه كان شديداً على أهل البدع, ذاباً بالكلام عن أهل السنة, فدعي.. إلى القول بخلق القرآن فأبى, فحمل مقيداً من مصر إلى العراق, حتى مات في أقياده محبوساً ثابتاً على دينه صابراً على ما أصابه من الأذى رحمة الله.

القاضي عمر بن إدريس الأنباري رحمه الله

كان كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أكبر المنكرين على.. أهل البدع فتعصبوا عليه ونسبوه إلى ما لا يصح عنه فضرب ضرباً مبرحاً كان سبباً لموته رحمه الله وممن ابتلي فحبس وضرب وشتتم

الإمام ابن الجوزي رحمه الله

نالت محنة في أواخر عمره, ووشوا به أعدائه في أمر اختلف في حقيقته فجاء من شتمه وأهانته وحُتِمَ على داره وشُتَّت عياله ثم أُخِذَ في سفينة إلى واسط فحبس بها وبقي يغسل ثوبه ويطبخ ودام على ذلك خمس سنين.

- (٩٠)

الشيخ علي بن عبدالمحسن بن عبدالدائم الدواليبي رحمه الله

كان يفتي بفتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في طلاق الثلاث فامتنح بسببها بدمشق
وصفع وأركب على حمار وطيف به في شوارع دمشق وسجن.

الشيخ أبو بكر بن محمد بن عارف بن عبدالقادر بن محمد بن خوقير رحمه الله.

امتنح وأوذي إيذاء شديداً جزاءً له على إنكار البدع والخرافات حبس ثمانية عشر شهراً ثم
أفرج عنه، ثم حبس ثانياً أكثر من خمس سنوات.
ومن ابتلي فترك بلده :

الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي رحمه الله

أمتحن ودُعي أن يقول : لفظي بالقرآن مخلوق، فامتنع وأبى فمُنع من التحديث وأُفتي
بإراقة دمه فسافر إلى مصر وأقام بها ومات بها.. وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل
البدعة وعداوتهم إياه وقيامهم عليه.

الإمام أحمد بن محمد بن مري التيمي البعلي رحمه الله

عُدّب بمصر بسبب مناصرته لابن تيمية وحطه على الصوفية ثم سُقِر إلى الشام بأهله.
ومن ابتلي فنقل من مكان إلى آخر :

الشيخ إبراهيم بن سليمان بن ناصر بن حمد رحمه الله

كان عنده غيره دينية وصلابة في الحق ووقوف عنده، سببت له بعض المشكلات
والتنقلات من عمل لآخر إلا أنه لم يبالي بأي صعوبة أو مشقة يلاقها في سبيل ما يرى
أنه الحق والعدل والواجب.

أسأل الله الجواد الكريم، أن يرحمه بواسع رحمته، وأن يعلي درجتهم في الجنة، جزاء ما
أصابهم من أذى في سبيل الله، وأن يثبت كل من أُصيب بأذى في دين الله.

- (٩١)

فصل : من تجارهم

من أكثر من قراءة القرآن تيسر له سماع الحديث وكتابته

قال الفقيه عبدالمحسن بن عبدالكريم المصري رحمه الله: الإمام إبراهيم بن عبدالواحد بن علي المقدسي رحمه الله أوصاني وقت سفري فقال: أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه فإنه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ.. فقال: فرأيت ذلك وجربته كثيراً فكننت إذ قرأت كثيراً تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير وإذا لم أقرأ لم يتيسر لي

ذكر الله من أكبر العون على طاعته

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ذكر الله من أكبر العون على طاعته فإنه يُجيبها إلى العبد ويُسهِّلها عليه, ويُلذِّذها له, ويجعلُ قرّة عينه فيها, ونعيمه وسروره بها, بحيث لا يجد لها من المشقة ما يجد الغافل والتجربة شاهدة بذلك..

ذكر الله يذهب عن القلب المخاوف

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ذكر الله يُذهبُ عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب في حصول الأمن فليس للخائف الذي قد أشتدَّ خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل فإنه بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه. ومن أدنى له حس قد جرب هذا

من تصبح بسبع تمرات من عجوة المدينة لم يضره سم ولا سحر

يقول الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (من اصطحب كل يوم بسبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم حتى الليل) قد جربت ذلك بنفسي حين ذهبت إلى الحج, فاستمررت على التصبح بسبع تمرات من تمر المدينة, مدة خمسة أشهر, وأنا مُصاب بمرض (السكر) ثم حللت البول والدم فلم يظهر أي أثر للسكر في البول, ولم يزد في الدم عما كان عليه قبل سفري إلى الحج

- (٩٢)

لا أمانة لرافضي ولا يوجد رافضي يتنزه عن المحرمات

قال الإمام الشوكاني رحمه الله : لا أمانة لرافضي قطّ على من يخالفه في مذهبه ويدينه بغير الرفض بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له لأنه عنده مباح الدم والمال وكل ما يظهره الرافضي من المودة فهو تقية يذهب أثرها بمجرد إمكان الفرصة وقد جربنا هذا تجريباً كثيراً فلم نجد رافضياً يخلص المودة لغير الرافضي وإن أثره بجميع ما يملكه وكان له بمنزلة الخول وتودد إليه بكل ممكن ولم نجد في مذهب من مذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم ثم لم نجد عند أحدٍ ما نجد عندهم من التجرؤ على شتم الأعراض المحترمة فإنه يلعن أقبح اللعن ويسب أفضع السبّ كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومه... وأقل خلاف ولعل سبب هذا والله أعلم أنهم لما تجرؤوا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم.

وقال رحمه الله : جرب هذا.. فقد جربناه وجريه من قبلنا فلم يجدوا رافضياً يتنزه عن شيء من محرمات الدين كائناً من كان ولا تغتر بالظواهر فإن الرجل قد يترك المعصية في الملا ويكون أعفّ الناس عنها في الظاهر وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف ناراً ولا يرجو جنة... وقد رأيت منهم مؤدّباً ملازماً للجماعات فأنكشف سارقاً وآخر كان يؤم الناس في بعض مساجد "صنعاء" وله سمت حسن وهدى عجيب وملازمة للطاعة وكنت أكثر التعجب منه كيف يكون مثله رافضياً؟ ثم سمعتُ بعد ذلك عنه بأمر تقشعر لها الجلود وترتجفُ منها القلوب.

- (٩٣)

فصل : الصبر والتجلد عند وجود المصائب والأمراض

الله عز وجل خير لك مني

توفي ابن لأبي الوفاء ابن عقيل رحمهما الله، وكان عمره سبع وعشرون عاماً، وكان قد تفقه، وناظر، فأكبَّ عليه، وقبَّله وهو في أكفانه، وقال : يا بني استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه، الرب خير لك مني، ثم مضى وصلى عليه بجنان ثابت.

لولا أن القلوب توقن باجتماع ثان لتفطرت المرائر لفراق المحبوبين.

وكان له ابن آخر له نحو أربع عشرة سنة، قد حفظ القرآن الكريم، وتفقه وظهر منه أشياء تدل على عقل غزير، ودين عظيم، ثم مرض وطال مرضه، ثم توفي رحمه الله، فحمل أبو الوفاء في نفسه من شدة الألم أمراً عظيماً، ولكنه تصبَّر، ولم يظهر منه جزع وكان يقول : لولا أن القلوب توقن باجتماع ثان لتفطرت المرائر لفراق المحبوبين.

إن لم تقتله مات

وقتل إبراهيم محمد باشا، عليه من الله ما يستحق، العالم الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله، وعمره ثلاث وثلاثون سنة، حيث أمر جنوده بالخروج به إلى المقبرة، وإطلاق النار عليه، ففعلوا فمزقوا جسده، حتى جمعوا لحمه بعد ذلك قطعاً، ثم إن الباشا ذهب لوالد الشيخ العلامة عبد الله آل الشيخ رحمه الله، وقال له : قتلنا ابنك يا عجوز، فقال الشيخ له بقلب المؤمن الصابر : إن لم تقتله مات.

التحامل على النفس وعدم الشكوى من المرض

قال الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان عن مرض الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله : ابتداءً به المرض قبل وفاته بثلاث سنين تقريباً، وكان يكثُر ذلك ويتحامل على نفسه حتى اشتدَّ عليه في السنة التي مات فيها.

وقال الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد عن مرض والده العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله : من طبيعة الشيخ رحمه الله, أنه كان جلدأ لا يشتكي ولا يتأوه, ويتحمل من الصبر ما لا يتحمل غيره, حتى كان يعتل العلل الشديدة إلا يكاد يبدو ذلك عليه, أو يثنيه عن أعماله ومهامه, وقد عاش الشيخ رحمه الله, ثلاثاً وسبعين عاماً, وأصيب في منتصف عام ١٤٠١ هـ بمرض السرطان..وقد كان على درجة من التحمل والصبر, وعدم الشكوى والأنين, مع أن هذا المرض ذو آلام شديدة, ولكنه كان صابراً محتسباً, بل كان يستقبل زواره ويتحدث إليهم في كل شأن في أمورهم الخاصة والعامة, وكان يتابع أعماله الرسمية والبيئية بشكل عجيب, بل كان يتحين الفرص لإلقاء الكلمات التوجيهية والتذكيرية وبخاصة حينما يزوره كبار المسئولين...وحاله يقول : (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) حتى أن الأطباء المعالجين كانوا يتعجبون من شدة تحمله وتجلده, حتى قال أحدهم وهو أمريكي : إني لم أر في حياتي مثل هذا الرجل, إذا دخلت عليه كأنه لا يشكو من أي مرض مع أنني أعرف نوع المرض ومدى تأثيره النفسي والعضوي على صاحبه.

وقال الدكتور طارق الخويطر عن الشيخ صالح بن غصون رحمه الله في عام (١٤١٨) أجريت له عملية استئصال أورام خبيثة في ثلاث أماكن في البطن, ثم شفي تماماً من هذه الأورام, وفي شهر صفر عام (١٤١٩ هـ) عادوه نفس المرض, فنالته أوجاع مضمئية, ولكن هذه المرة في الكبد, ومنذ شهر صفر والشيخ أسكنه الله فسيح جناته يشكو الآلام ويصبر, ومع شدة الأوجاع..إلا إنه رحمه الله كان مواصلاً للقراءة والاطلاع, وكنتُ أقرأ عليه وأسمعه يتألم ويضع يده على بطنه فأتوقف عن القراءة ثم يقول الشيخ أكمل وكنت أسأله إذا كانت القراءة تثقل عليه فيقول : بل تؤنسي.

فصل : مواقف لهم في القضاء

لقد ذبح أبوك اليوم بغير سكين

عندما ولي الإمام سحنون القضاء رحمه الله, دخل على ابنته وكانت من خيار النساء, فقال لها : اليوم ذُبح أبوك بغير سكين.

سؤال الله الإعانة علي القضاء

قال القاضي محمد بن الجناق القرشي رحمه الله:

إلهي ظلمتُ النفس إذ صرْتُ قاضياً وأبدلتها بالضيق من سعة الفضا
وحملتها ما لا تكاد تطيقه فأسألك التوفيق واللطف في القضا

إقناع الخصوم ووعظهم

بعض القضاة قبل أن يكونوا قضاة, هم دعاة إلى الله عز وجل, حريصين على اقناع الخصوم فالشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله, مما تميز به إقناع الخصوم, خاصة المغلوب, بإفهامه مناط الحكم, والدليل عليه, فلا يخرج أحد -في الغالب- إلا وهو مقتنع بما حكم به, كما أنه يعظُ الخصوم, ويذكرهم مغبة الظلم, ويورد النصوص في ذلك, مع إيضاح حقيقة الدنيا وأنها متاع زائل.

الصلح بين الخصوم

الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري رحمه الله, كان يؤثر الإصلاح بين الخصمين, سيما إذا لم يظهر له وجه الصواب.

والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله, كان شديد الحرص, فيعرض الصلح بين المتخاصمين, خاصة في القضايا الزوجية, بل إنه عيّن أشخاصاً من أهل الخبرة والوجاهة, محتسبين للقيام بإصلاح ذات البين.

والشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش رحمه الله كان محباً للصلح بين الخصمين وخاصة في القضايا الزوجية وإذا عرف أن الخصمين تربطهما أواصر القرى، وصله الرحم والشيخ عبدالله بن محمد بن حمد بن صالح بن سليم رحمه الله، كثيراً ما كان يجنح في قضاياه إلى الصلح.

استحضار خوف الله وخشيته عند إصدار الحكم

القاضي سوار بن عبدالله بن قدامة بن عنزة التميمي العنبري قاضي البصرة رحمه الله، قال بكار بن محمد السيريني : رأيت سوراً إذا أراد أن يحكم رفع رأسه إلى السماء تغرغرت عيناه ثم حكم.

الاستشارة

الشيخ عبدالله بن عودة بن عبدالله السعوي رحمه الله، كان لا يحكم بالقضية إلا بعد استشارة العلماء مراسلة، أو مشافهة. والشيخ عبدالله بن عمر عبدالله بن دهيش رحمه الله، اشتهر بالدقة في أحكامه، وتحري العدل، كما كان يستشير العلماء، خاصة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، مفتي الديار السعودية.

عدم محاباة أحد في دين الله

قاضي البصرة سوار بن عبدالله بن قدامة بن عنزة التميمي العنبري رحمه الله، استقدمه المنصور ليعزله، لأنه شكى منه، فعطس المنصور بحضوره، فلم يشمته، فقال له : ما منعك من التشميت ؟ قال : لأن أمير المؤمنين لم يحمد الله، قال : فقد حمدت في نفسي، قال : وقد شمئت في نفسي، قال : ارجع فلو حايت أحداً حايتني.

تأديب الخصوم

الإمام عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي رحمه الله، المعروف بـ سُحنون كان يضرب الخصوم، إذا آذى بعضهم بعضاً بكلام، أو تعرضوا للشهود، ويقول : إذا تعرضوا للشهود كيف يشهدون ؟

التورع عن قبول هدية الخصوم

الشيخ علي بن محمد بن علي بن حمد آل راشد رحمه الله، من ورعه أن امرأة أهدت له تيناً، ثم جاءت من الغد تخاصم رجلاً عنده، فما كان منه إلا أن طلب ماءً فيه ملح، وتقياً ما في بطنه، وقال : إن لي بأبي بكر الصديق أسوة.

الشيخ صالح بن علي الغصون رحمه الله لما كان في سلك القضاء كان حذراً من قبول الهدايا، أو حضور بعض المناسبات، وقد حضر شخص ومعه بعض التمر يريد أن يهديه للشيخ، فلما علم الشيخ رحمه الله قال لأولاده : قولوا له إذا أردنا التمر وجدناه في السوق.

عدم نقض الأحكام القضائية

قال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل رحمه الله : خدمتُ الدولة مدة اثنتين وخمسين عاماً تقريباً.. وفي تلك المدة لم يُنقض لي حكم من فضل الله... وليس هذا بحول مني ولا قوة، وإنما هو بمحض فضل الله وستره وتوفيقه، وأستغفر الله وأتوب إليه. والشيخ صالح بن علي بن غصون رحمه الله، كانت خدمته في القضاء إحدى وأربعين سنة، لم يذكر أنه نقض له حكم قضائي خلالها.

فصل : شربهم لماء زمزم بنيات متعددة

ماء زمزم طعام مبارك, فقد قدم أبو ذرٍ ٢ ليسلم, فأقام في المسجد الحرام, ثم أتى رسول الله ٣ فسأله : (متى كنت هاهنا؟) قال : كنت هاهنا منذ ثلاثين, بين يوم وليلة, قال : (فمن كان يطعمك؟) قال : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم, فسمنت حتى تكسرت عكن بطني, وما أجد على بطني سُخفة جوع, قال : (إنها مباركة وإنها طعام طعم) [أخرجه مسلم] وزاد البيهقي رحمه الله : (وشفاء سقم)

ولقد شرب أهل العلم ماء زمزم, مستحضرين نيات متعددة منها :

شربها للاستشفاء بها

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله : رأيت أبي.. غير مرة يشرب ماء زمزم, يستشفي به, ويمسح به يديه ووجهه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : ولقد أصابني أيام مقامي بمكة أسقام مختلفة, ولا طبيب هناك, ولا أدوية كما في غيرها من المدن, فكنتُ أستشفي بالعسل, وماء زمزم, ورأيت فيها من الشفاء أمراً عجبياً... وكنتُ آخذ قدحاً من ماء زمزم, فأقرأ عليه الفاتحة مراراً فأشربه, فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء, والأمر أعظم من ذلك, ولكن بحسب قوة الإيمان وصحة اليقين.

شربها لطلب العلم والإيمان

قال القاضي أبو بكر العربي رحمه الله : كنتُ بمكة في سنة (٤٨٩), وكنتُ أشرب من ماء زمزم كثيراً, وكلما شربته نويت العلم والإيمان, ففتح الله تعالى ببركته في المقدار الذي يسره لي في العلم, ونسيئُ أن أشربه للعمل, ويا ليتني شربته لهما, حتى يفتح الله لي فيهما, ولم يُقدّر, فكان صفوي للعلم أكثر منه للعمل.

شربها لحفظ القرآن الكريم

الشيخ يحيى بن أحمد بن مسعود الأنصاري رحمه الله, حكى أنه شرب ماء زمزم, لحفظ القرآن, فتيسر عليه حفظه في أقرب مدة.

شربها لتعلم العربية

الإمام ابن رسلان البلقيني رحمه الله, لم يكن له تقدم اشتغال في العربية فحج, وشرب من ماء زمزم لفهم هذا العلم, فلما رجع أدمن النظر فيه فمهر في مدة يسيرة فيه.

شربها للحفظ

قال الشيخ علي بن محمد بن علي النحراري رحمه الله : كنتُ إذا عسر عليّ في الحفظ, شربتُ من ماء زمزم, ودعوت فأحفظ.

شربها بنية طلب الرزق بالابن العالم

والد الإمام ابن الجزري رحمه الله, مكث أربعين سنة لا يولد له ولد, ثم حجّ, فشرب ماء زمزم, بنية أن يرزقه الله ولداً عالماً, فولد له الإمام ابن الجزري.

شربها لأغراض متعددة.

فالخطيب البغدادي رحمه الله, لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات, وسأل الله تعالى ثلاث حاجات : أن يحدث بتاريخ بغداد ببغداد, والثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور, الثالثة أن يدفن عند بشر الحافي فقضى الله الحاجات الثلاث له.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله : شربت ماء زمزم لثلاث : أحدها : أن أنال مرتبة الحافظ الذهبي فوجدت بحمد الله أثر ذلك, وأن يُيسر لي الكتابة على الفتاوى كشيخنا السراج البلقيني حيث كان يكتب عليها من رأس القلم بغير مراجعة غالباً فيسر الله تعالى لي ذلك, ولم يذكر الثالثة.

فصل : حرصهم على أوقاتهم

قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله : إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري, حتى إذا تعطلت لساني عن مذاكرة ومناظرة, وبصري عن مطالعة, أُعمل فكري في حال راحتي وأنا مستطرح, فلا أتهضُّ إلا وقد خطر لي ما اسطره.

وقال محمد بن عبد الباقي محمد رحمه الله : ما ضيعت ساعة من عمري في لهو أو لعب. وكان سليم بن أيوب بن سليم رحمه الله, لا يدع وقتاً يمضي بغير فائدة, إما ينسخ, أو يدرس, أو يقرأ.

والفقيه محمد بن المبارك بن الحسين بن إسماعيل رحمه الله, لا يقطع زمنه إلا بطاعة. والإمام ابن الجوزي رحمه الله, كان لا يضيع من زمانه شيئاً.

قال الضياء تلميذ الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله : كان شيخنا الحافظ رحمه الله : لا يكاد يضيع شيئاً من زمانه بلا فائدة, وقال أخوه الشيخ العماد : ما رأيتُ أحداً أشدَّ محافظة على وقته من أخي.

والموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله, أوقاته مستغرقة للعلم والعمل..و.ربما قرأ عليه بعد المغرب وهو يتعشي.

والشيخ عبد الوهاب بن الأمين علي بن عبد الله بن عبيد الله بن سكينه رحمه الله, كانت أوقاته محفوظة فلا يمضي له ساعة إلا في قراءة أو ذكر أو تهجد أو تسميع.

والإمام أبو البقاء العبكري رحمه الله, كان محباً للاشتغال ليلاً ونهاراً, ما تمضي عليه ساعة بغير اشتغال, أو إشغال, حتى أن زوجته تقرأ له بالليل كتب الأدب وغيرها.

والإمام عبد الوهاب بن علي الملجمي رحمه الله, كانت أوقاته محفوظة, فلا تمضي له ساعة إلا في قراءة, أو ذكر, أو تهجد, أو تسميع.

والإمام النووي رحمه الله، كان لا يضيع له وقتاً، في ليل ولا في نهار، إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتى في ذهابه في الطريق ومجيئه، يشتغل في تكرير محفوظه، أو مطالعة... قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم، والعمل، فبعضها للتصنيف، وبعضها للتعليم، وبعضها للصلاة، وبعضها للتلاوة، وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن عبدالمهدي الشهير بابن المبرد رحمه الله، أفنى عمره بين علم، وعبادة، وتصنيف، وإفادة.

والشيخ مرعي بن يوسف الكرمي رحمه الله، قطع زمانه بالإفتاء، والتدريس، والتحقيق والتصنيف.

والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله، كان وقت سماحته لا يضيع منه شيء يُذكر بل هو كُله في الخير من : علم وتعليم وقضاء وإفتاء وعبادة وقيام بمصالح المسلمين والاهتمام بأمورهم وأخبارهم.

والشيخ عبدالرحمن الحصين رحمه الله، قضى ليله ونهاره في العبادة وتلاوة القرآن. لقد بلغ من حرص أهل العلم على الوقت، أن قسموا ليلهم إلى ثلاثة أجزاء : جزء للتصنيف، وجزء لقراءة القرآن، وجزء للنوم، ومن دُكر في سيرهم أنهم يفعلون ذلك : الإمام محمد بن محمد الحجاج رحمه الله، والإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله. والإمام الشافعي رحمه الله، والإمام عمرو بن دينار رحمه الله، والحافظ جعفر الحصري رحمه الله، والحافظ أبو النضر الطوسي رحمه الله.

فصل : مجالسهم مجالس خير وبركة

سعيد بن جبير رحمه الله, كان لا يدع أحداً يغتاب عنده.
والإمام مالك بن أنس رحمه الله, كان مجلسه مجلس وقار وحلم, ليس في مجلسه شيء من
المراء واللغط ورفع الصوت.

ومجالس الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله مجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا
والشيخ إبراهيم بن جعفر اللواتي رحمه الله, لا يُتكلّم في مجلسه إلا بمسألة علم أو كلام فيه
منفعة.

والإمام الشاطبي رحمه الله, صاحب قصيدة " حرز الأمانى " كان يمنع جلساءه من
الخوض إلا في العلم والقرآن.

والأحنف بن قيس رحمه الله, كان يقول : جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام وإني أبغض
الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه.

والفقيه أحمد بن محمد بن أحمد الدينوري شيخ الإمام ابن الجوزي رحمه الله لا يغتاب
أحداً ولا يُغتاب عنده.

والحافظ عبدالوهاب الأنماطي رحمه الله, كان لا يغتاب أحداً ولا يُغتاب عنده.
والحسن بن أحمد بن الحسن الهمداني رحمه الله, كان.. لا يُمكن أحداً أن يعمل عنده أو في
مجلسه منكرًا أو سماعاً.

والشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله , لا تكاد تجلس معه قليلاً من الوقت إلا وتخرج بفائدة
علمية أو أدبية أو خلقية... لا يُذكر في مجلسه أحد بسوء.

والشيخ عبدالعزيز بن صالح عبدالعزيز بن مرشد رحمه الله ما جلس جالس في مجلسه إلا
وخرج بفائدة ونال من الطمأنينة والخشوع مما سمعه من الوعظ والتذكير والقراءة.

والشيخ عساف بن محمد بن عبدالله الحواس رحمه الله, لا يجلس مجلساً من ليل أو نهار إلا ويكون فيه قراءة وتعليق أو بحث ومذاكرة.

والشيخ عبدالله بن محمد بن فدا رحمه الله, لا يسمح لأحد أن يتكلم في مجلسه بأي حديث غير البحث العلمي الديني فقط.

والشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح رحمه الله, لا يخلو مجلسه من قراءة أو بحث ولا تُذكرُ أمور الدنيا في مجلسه.

والشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل المبارك رحمه الله, مجالسه كلها أو جلها بحوث علمية واجتماعية ولا يميل إلى الهزل أبداً.

والشيخ عبدالله بن حسن حسين آل الشيخ رحمه الله كانت مجالسه مقصورة على البحوث الدينية فقط لا يذكرُ فيها شيء من أمور الدنيا, ولا يُغتاب فيها أحد.

والشيخ صالح بن أحمد الخريصي رحمه الله, كانت الدنيا لا تذكر في مجلسه...وقد يضم مجلسه عشرات إلى حد المائة فلا تسمع صوتاً, إلا التسبيح أو التهليل أو ذكر الله تعالى.

والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله, كانت مجالسه معمورة بالعلم والنصح والنفعة وإفادة الناس والإحسان إليهم.

والشيخ صالح بن عثمان بن حمد القاضي رحمه الله متى أراد شخص أن يغتاب رجلاً في مجلسه نصحه ووعظه فإن صمم قام من المجلس.

والشيخ عثمان بن صالح بن حمد بن إبراهيم القاضي رحمه الله, إذا حدث أحد في مجلسه بغيبة, أو نميمة, ردَّ عن عرضه, وسكَّت المتكلم, أو قام من المجلس, ويكرر : طوي لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

والشيخ منصور بن صالح بن منصور الضلعان رحمه الله, لا يجب أن أحداً يتكلم بمسبة
أحدٍ في مجلسه, وربما ذبَّ عنه في غيبته, ونصح المغتاب.
والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله, كان يتنزه عن الغيبة, والحديث عن الآخرين
بما يكرهون.. ولم يكن يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين, أو تنقصهم,
بل كان يقف دون ذلك, ويزجر من حاوله.
والشيخ محمد بن صالح المقبل رحمه الله, كان من عادته أنه لا يسمح في مجلسه بالخوض
في حديث يدور في الدنيا, ولا الأشخاص.

فصل : حبهه للكتب

الألم الشديد لفقد الكتب

الشيخ عبدالصمد بن أحمد بن أحمد بن عبدالقادر رحمه الله، فقد كتبه وابنه، في وقعة بغداد، فكان يقول : في قلبي حسرتان : ولدي وكتبي.
والحافظ ابن الملقن رحمه الله، كان لديه كتب كثيرة احترقت، في أواخر عمره، فتغير حاله بعدها، فحجبه ولده إلى أن مات.

الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد السناني رحمه الله، كتب عدة كتب بخطه، وفي عام ١٢٢٢ هجرية هطلت أمطار غزيرة، على مدينته عنيزة، وسقطت بيوت كثيرة، منها : منزله، فتلفت بعض هذه الكتب، فكان يقول : والله إن تلف هذه الكتب النفيسة، معادل عندي ما تلف من الأموال وغيرها.

عدم الصبر عن قراءة الجديد من الكتب

قال الشيخ أحمد الباتلي : طلب مني الشيخ حسن بن عبداللطيف بن محمد المانع رحمه الله، شراء كتاب " فضائل الأوقات " للإمام البيهقي رحمه الله، فاشتريته له، واتصلت به، وقلتُ : سأحضره لك غداً إن شاء الله، إذا حضرت للدرس بعد المغرب، فلما جاء الصباح، اتصل بي الشيخ، وقال : أحضره لي فوراً فلن أصبر إلى المغرب.

البكاء من الفرح لاقتناء كتاب من كتب السلف لم يطبع من قبل.
قال الشيخ أحمد الباتلي : لما طُبع كتاب "السنن الكبرى" للنسائي، أهديته نسخةً منه، [الشيخ حسن بن عبداللطيف المانع] فشقق من الفرح وبكى وقال : رحم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فلقد كان يقول لنا دائماً : ليته يطبع فالحمد لله أنني اقتنيته.

إنفاق الأموال الكثيرة في اقتناء الكتب

الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله, باع ملكاً له واشترى بتمنه كتاب الفنون. والشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالرزاق الدويش رحمه الله, كان يحبُّ جلب الكتب فما درَّ في يده اشترى به كتباً في الحديث والفقه.

عشق الكتب والغرام بها

لحي الكتب النافعة مع كتبهم, مواقف جميلة تبين مقدار محبتهم وعشقهم لكتبهم. الشيخ ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي حفظه له, يقول في كتابه القيم " صيانة الكتب " : لم تكن هذه التصحيحات, والآداب المبتوثة, رهينة كتاب, أو حبيسة باب... بل كانت بتوفيق الله, حصيلة قراءات طويلة, ونظرات مديدة, زادت على خمس وعشرين سنة مُخصبة, عشثُ فيها مُحبًّا بل عاشقاً للكتب, واقتنائها, وإني مع هذه المحبة وتلك الرغبة ما ازددت فيها إلا نهماً لها وهياماً بها... إني طالب علم مُغرم بالكتب وعاشق لها, منذ صرف الله قلبي للعلم... فوالله إن لي مع الكتاب حالاً لا يعلمه إلا خاصة أهلي, فكيف لو رأيتني وقد صرثُ وكتبي كالجسد الواحد, أتألم بالأمها, وأعاني بمُعاناتها, وأفرحُ بسلامتها, وأحزنُ بأعطابها ومضراتها وربما تأوهتُ من بعض ما بها وربما وصل حُبي ببعض كتبي أنني أعرف عنها أكثر مما أعرفه عن أبنائي ويقول حفظه الله : إني طالب علمٍ مغرم بالكتب وعاشق لها مُنذُ أن صرف الله قلبي للعلم.

الكتب عنده في مرضه

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ عن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله : عجبت من هذا الرجل, زرته في مرضه, فوجدت الكتب عنده يقرأ ويجرر.

عرفته من كثرة معاشرتي لكتبه

قال الشيخ محمد بن حامد الفقي عن الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمهما الله : عرفت أخي الشيخ عبدالرحمن... صبوراً جلدأ... عرفت في أخي الشيخ عبدالرحمن... هذا على قلة اجتماعي به, لكني عرفته كذلك من كثرة معاشرتي له في كتبه ومؤلفاته, فإنها الحبيبة إلى نفسي, والقريبة إلى قلبي, وهي التي جعلت بيني وبين أخي الشيخ عبدالرحمن من التقارب والتعارف والتفاهم - على ما بعد ما بين الأجسام - ما توثق به الإخاء في الله, وقوي عرى المودة والحب لله.

لذته الكتب, ينام بينها, وقد مات وهي على صدره

قال الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله : نعمة سبحانه وتعالى عليّ وعلى خلقه لا تحصى, ومن أعظم ذلك... أتي رُزقت شيئاً من اللذة في الكتب, وقال الشيخ عبدالرحمن العجيان عنه: لا زالت أذكر ما حدثنا به الثقات في شغف ذهبي العصر الشيخ العالم المحدث... المعلمي رحمه الله من أنه لم يكن حتى يضع عن يمينه شرح " ألفية ابن مالك " وعن يساره " شرح منتهى الإرادات " فإذا نام ترك الأنوار مضاءة فيغفو ثم يقوم, فيلتفت إلى أحد الكتابين, فيفتح على صفحة محددة, ثم ينظر فيها, ثم يرجع فينام رحمه الله.

وقد توفي رحمه الله والكتب على صدره في غرفته في مكتبة الحرم حيث كان يقيم.

فائدة إعارة الكتاب أعظم من ثمن الكتاب

كانت مكتبة العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله, مباحة لكل الطلاب, وكان يقول : لا تمنعوا أحداً يستعير أي كتاب, ولو فرضنا أن لا يصونه لأن الأجر والفائدة التي تحصل بذلك أعظم من ثمن الكتاب.

فصل : متفرقات

السنة مقدمة على حبك

العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله, سلّم عليه رجل وعانقه, وهو لم يقدّم من سفر, فقال له سماحته : السنة المصافحة, فقال الرجل : أنا أحبك يا شيخ, فقال سماحته : السنة مُقدمة على حبك.

لا تتجاوز السنة قيد أئمة

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله : رأيت أخيراً حدثاً إذا سلم قال: أحييكم بتحية أهل الجنة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته, وهذا يحتاج إلى دليل إلى العمل به, هل كان الصحابة رضي الله عنهم وهم أعلمٌ منا بشريعة الله وأحرص منا على تطبيقها, هل كانوا يفعلون هذا ؟ فأنا لا أعلمُ أنهم كانوا يفعلون هذا, وإنما يسلم الإنسان السلام المعتاد, وسلام أهل الجنة في الجنة, أما في الدنيا فسلامها معروف, لكن تجد أن بعض الناس يتكلم بهذه الكلمة, ثم يعشقها الناس وتذهب كأنها سنة, فانتبه لهذا لا تتجاوز السنة قيد أئمة فإن هذا هو صلاح القلب وصلاح المجتمع وصلاح الفرد.

مراعاة المصالح والمفاسد عند الإفتاء

قال الشيخ محمد صفوت رحمه الله : كان الشيخ عبدالرزاق عفيفي يرحمه الله, مثلاً يحتذى في الفتوى, دقة والتزاماً.. كان بالغ العناية باحترام أقوال إخوانه العلماء, فإذا صدرت الفتوى في مسألة, وله رأي مخالف, وسأله أحد عن هذه الفتوى, أفتى بقول جماعة العلماء, ولو لم يكن هو رأيهم, بل وجدته يحبس رأيه عن المستفتين, إذا وجد أن هذا الرأي قد يحدث بينهم شقاقاً, ولا يبرزه إلا لطلبة العلم, الذين يعرفون الأدب عند الاختلاف, وتوقير العلماء.

نصحهم لولاة الأمر سرّاً

الشيخ عبدالله بن محمد صالح المطوع رحمه الله , كان يقوم بواجب النصح لولاة الأمر والمسئولين ويكاتبهم في الخفاء ويدعو لهم. والشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين رحمه الله يقول : إني لا أنصح لولي الأمر إلا سرّاً وعلى كثرة ما أكتبه لهم لا يدري عنه حتى مديري مكنتي.

مناظرة أصحاب المذاهب الباطلة

الشيخ أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسى , اتصل بعبدالقادر التلمساني رحمهما الله , وكان أشعرياً , فما زال الشيخ يناظره , حتى التحق بمذهب أهل السنة , وصار داعياً إلى مذهب السلف , ثم إن الشيخ عبدالقادر دعا الشيخ محمد نصيف رحمهما الله , إلى مذهب السلف , فهداه الله إلى عقيدة السلف , بواسطة الشيخ عبدالقادر التلمساني.

التدرج في الدعوة إلى الله عز وجل

الشيخ عبدالرحمن الأفريقي رحمه الله ذهب لينبع للوعظ والإرشاد , فأقام هناك تسعة أشهر وجعل وقت الوعظ عشر دقائق فقط ليتهايئ للجميع الاستماع ولم ييادهم بإنكار البدع التي كانوا عليها , بل جمع أبنائهم ولما أخذوا عنه علم العقيدة صار الأبناء ينكرون على آبائهم ثم طلبوا منه زيادة وقت الوعظ فكانت ساعة ونصف صباحاً ومثلها مساءً ثم أخذ يتجول في القرى أيام الجمع بطلب من أهلها فأزالوا التمايم والأشياء التي كانوا يعلقونها على دورهم وتركوا الذبائح والندور التي كانوا يقومون بها

أفرح بالسؤال الذي لا أعرف جوابه

يقول الشيخ صالح بن علي بن غصون رحمه الله : إني أفرح بالسؤال الذي لا أعرف جوابه , لأنه يدفعني للبحث والاطلاع.

السجود لله شكراً عند حدوث نعمة أو دفع نقمة

عن أبي بكر رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه أمر يُسرُّ به, خَرَّ ساجداً شكراً لله تعالى, وكان أهل العلم إذا جاءهم ما يسرهم, سجدوا شكراً لله قال حماد رحمه الله بثرتُ إبراهيم النخعي بموت الحجاج فسجد وبكى من الفرح الشيخ محمد بن عبدالرحمن القاسم رحمه الله, أصيب بالجدري, وشفى منه, فكتب إلى والده في مكة, الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله, يخبره بشفاؤه, وأن الله سلم عينيه وبدنه, فلما جاء الخبر, سجد في الحرم شكراً لله سبحانه أن شفى ابنه. قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله عن أحد رجال الحديث : وأما الحسن بن ثواب فقد أضناني في البحث عنه حتى وجدته فسجدتُ لله شكراً على توفيقه.

عزة النفس

الإمام أحمد بن حنبل ذكره الإمام عبدالرزاق الصنعاني رحمه الله, فدمعت عيناه, فقال : بلغني أن نفقته نفذت, فأخذت بيده وما معي ومعه أحد, فقلتُ : قد وجدت. عشره دنانير فخذها, فقال لي : يا أبا بكر لو قبلت شيئاً من الناس قبلت منك.

نصر الله لهم على الضالين المفسدين

الميزرا غلام أحمد القادياني, ادعى أنه المهدي, ثم ادعى أنه نبي ورسول, ثم ادعى أنواعاً من الألوهية لنفسه, وقد تصدى له العلماء وأبطلوا كذبه, ودجله, وعلى رأس أولئك الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمر تسري رحمه الله, فلما رأى الميزرا أن الشيخ ثناء الله قد أبطل كيده وحيله, نشر نشرة دعا الله أن يفتح بينه وبين الشيخ, وأن يميت الكاذب منهما في حياة الصادق, حتى يكون موته دليلاً على صدق الآخر, فلم يلبث القادياني إلا نحو السنة ومات وعاش الشيخ ثناء بعده بنحو أربعين سنة.

الرد على المخالف بعلم وأدب

الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله, ردّ على الكوثري وأفحمه, وردّ على أبي رية وقصمه, ولكن كما قال العلامة الألباني رحمه الله : بأسلوب علمي متين, لا وهن فيه, ولا خروج عن أدب المناظرة, وطريق المجادلة بالتي هي أحسن, بروح علمية عالية.

عدم الالتفات لوساوس الشيطان

قال الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله : كنتُ في حالة حسنة مع أهلي ومالي, فأنفقت نفقة في وجه من وجوه الخير, وهممتُ بغيرها, فأصابني بعض نوائب الدهر في أهلي ومالي, ولكني بحمد الله عز وجل لم ألتفت إلى ذلك, فنفدت ما هممت به, ثم فعلت مثله مرة ثالثة, وإلى الآن وتلك النوائب لم يتم انجلاؤها, وظهر لي توجيه لتلك النوائب, وهو أنه يمكن أن تلك النفقة وقعت موقع القبول عند الله عز وجل, فأراد أن يكافئني عليها بأن يطهرني من بعض الذنوب التي علي, وهذه النوائب من ذلك التطهير.

معالجة الأخطاء بحكمة وحنكة

جاء رجل إلى الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي رحمه الله, وأخبره أن رجلاً يتكلم فيه في المجالس, فاستغرب الشيخ صدور ذلك منه, فليس بينه وبين الرجل عداوة, وكان المخير صادقاً, فأراد الشيخ أن يعالج الموضوع بحكمة وحنكة, فذهب إلى الرجل وسلّم عليه, واكتفى به, وأعطاه بعض المال, ثم بعد فترة جاء المخير للشيخ وقال : أن فلاناً سابق الذكر يثني عليك, ويذكرك فضلك وصلاحك, فقال له الشيخ : أرجو ألا تخبرني مرة أخرى عن هذا ولا عن غيره, وعليك بالتوجه إلى طلب العلم وترك تلمس هفوات الآخرين, بارك الله فيك.

(١١٢)-

فصل : الرؤى والمبشرات لهم

من كرم الله جل جلاله أن جعل المبشرات لأوليائه وأحبائه في الدنيا والآخرة, قال الله عز وجل : [ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ~ الذين آمنوا وكانوا يتقون ~ لهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة] [يونس: ٦٢-٦٣-٦٤] قال العلامة السعدي رحمه الله : إما البشارة في الدنيا فهي : الثناء الحسن, والمودة في قلب المؤمنين, والرؤيا الحسنة, وما براه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق, وصرفه عن مساوئ الأخلاق, وأما في الآخرة, فأولها : البشارة عند قبض أرواحهم, كما قال تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون] وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم والنجاة من العذاب الأليم.

فمن المبشرات للمؤمن الرؤيا الصالحة, وهي من الله جل جلاله, بخلاف الأحلام التي تكون فيها الأهواويل والتحزين فهي من الشيطان, فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الرؤيا الصادقة من الله, والحلم من الشيطان) [أخرجه البخاري ومسلم] ومن علامات أنها من الله جل جلاله أن العبد يفرح ويسرُّ بها, فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه, قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله) [أخرجه البخاري]

وهي تدل على صلاح رائيها, فقد رأى عبدالله بن عمر رضي الله عنه رؤيا قال : فقصَّها على أخته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنهما, فقصَّتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نعم الرجل عبدالله لو كان يُصلي من الليل... قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ويؤخذ منه أن الرؤيا الصالحة تدل على خير رائيها.

وهي من مبشرات النبوة, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لم يبق من النبوة إلا المبشرات) قالوا : وما المبشرات ؟ قال : (الرؤيا الصالحة) [أخرجه البخاري] وعند مسلم قال : (لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو ترى له) فهي تشبه النبوة من جهة الإطلاع على شيء من الغيب, كما ذكر ذلك أهل العلم. وهي بشرى من الله لعبده, فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الرؤيا ثلاثة فالرؤيا الصالحة بشرى من الله عز وجل) [أخرجه أحمد] قال ابن الصلاح رحمه الله : ومن أمارات صلاحها أن تكون تبشير بالثواب على الطاعة أو تحذير من المعصية, وقال المهلب فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر رحمهما الله : من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمؤمن رفقا به ليستعد لما يقع قبل وقوعه ومن الرؤى التي وقعت لأهل العلم :

رؤيا للإمام مالك بن أنس رحمه الله (ت ١٧٩)

عن مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه رحمهما الله, قال : كنت جالسا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك, فجاء رجل فقال : أيكم أبو عبد الله مالك ؟ فقالوا : هذا, فجاء فسلم عليه واتفقه وقبله بين عينيه وضمه إلى صدره, وقال : والله لقد رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في هذا الموضوع, فقال : هاتوا مالكاً, فأتي بك ترعد فراضك, فقال : (ليس عليك بأس يا أبا عبد الله) وكناك, وقال : (اجلس) فجلست, فقال : (افتح حجرك) ففتحت فملاؤه مسكاً منشوراً, وقال : (ضمه إليك وبثه في أمي) فبكى مالك طويلاً, وقال : الرؤيا تسر ولا تغر, وإن صدقت رؤياك فهو العلم الذي أودعني الله.

رؤيا للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت ٢٤١ هـ)

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله : وقد بلغنا عن الشافعي رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يخبره بما سيلقى أحمد من الامتحان في خلق القرآن, ويأمره أن يعلم أحمد بذلك.

رؤيا للإمام البخاري رحمه الله (ت ٢٥٦ هـ)

الإمام البخاري رحمه الله, رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه, وهو واقف بين يديه, ويده مروحة يذب بها عنه, فسأل بعض المعبرين, فقال له : أنت تذب عنه الكذب, فكانت الرؤيا سبباً لتصنيفه كتابه الصحيح

رؤيا للإمام الأشعري رحمه الله (ت ٣٣٣ هـ)

الإمام الأشعري رحمه الله وقع في صدره في ليلة شيء مما كان فيه من عقيدة الاعتزال, فقام وصلى ركعتين, وسأل الله أن يهديه الطريق المستقيم, فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر النبي بما يجد, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك بسنتي, فكانت تلك الرؤيا من أسباب تركه لمذهب الاعتزال الذي ظلّ فيه أربعين عاماً, وتحوله إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

رؤيا للإمام المحدث سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله (ت ١٢٣٣)

قال الأستاذ عبادة بن محمد الشمراني : من الرؤى الصالحة التي رثيت للإمام سليمان رحمه الله... ما حدثني به مكاتبة ثم مشافهة فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح آل الشيخ حفظه الله, قال : حدثني أبي عن جده الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى (مفسر الرؤى المعروف) : أنه أتاه رجل.. فقال : رأيتُ فيما يرى النائم أن الشيخ سليمان بن عبد الله يغرف الماء من قبره.

فقال له : أتعرف الشيخ سليمان ؟

قال : لا , ولكني أسمع به .

فقال : هذا عمي , وأما تأويل الرؤيا .

فالماء حياة , [وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون] [الأنبياء : ٣٠]
والحياة في القبر شهادة , [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم
يرزقون] [آل عمران : ١٦٩]

رؤيا للشيخ عبدالكريم الدرويش رحمه الله (ت ١٣٤٠ هـ)

قال الشيخ عبدالرحمن بن محمد الهرفي :

جاء بدوي للشيخ , وقال : يا عبدالكريم , رأيت بيت شعر أسود ملء السماء , وداخله
شراع أبيض , وداخله كرسي جالس عليه رجل .

فقال له الشيخ : هل تعرف الرجل ؟

فقال : نعم , ولكن عبّر لي الرؤيا أولاً .

فقال : الخيمة الكبيرة السوداء هي الإسلام , وهذا سواد الإسلام , لأنه يدخل تحته السني
والشيعة وغيرهما , والوعد عند الله , والبيضاء الإيمان , والكرسي الإحسان , والجالس عليه
من أصلح الناس .

فقال الرجل : أنت هذا الرجل

فخر الشيخ الدرويش ساجداً , وأخذ بيكي

رؤيا للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ)

قال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل تلميذ العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله : قال الشيخ عبدالرحمن : كنتُ أقرأ في ديوان المتنبي, وهو ديوان فيه مدح, وفيه هجاء, وفيه حكم, وفيه أشياء كثيرة, ولما قرأتُ قصيدة فيها هجاء شديد رأيتُ في المنام كأني أنبش قبراً, فتقرزت نفسي وعرفتُ أن هذا من جراء هذه القصيدة, فعزفت نفسي عن قراءة الأشعار التي فيها هجاء.

قال ابنه محمد : في سنة (١٣٦٦هـ) مرت على الوالد أزمة قوية أثرت على نفسه وصحته, بسبب وصول خبر للوالد بأنه سوف يعين قاضياً في عنيزة... فزاد على الوالد الضغط من أثر الأزمة وزيادة التفكير بموضوع القضاء, وضاق صدره خوفاً من استلام المهمة في عنيزة... ومن شدة ما يجيه (ما يأتيه) يغمي عليه في بعض الأوقات.....

وفي يوم من الأيام نمتُ : فرأيت فيما يرى النائم... حية (ثعبان) تهول العقل من رؤيتها, فهي كبيرة الحجم.. رأيتها خارجة من جبل ثم نشبت (تعلقت) هذه الحية بحيث لا تستطيع أن تتحرك, وما تستطيع أن تخرج, ولا تستطيع أن ترجع إلى محلها الذي خرجت منه, وكان هناك رهبة منها, وهي موحشة من عظم حجمها, والناس مبتعدون عنها, وهم يتكلمون فيها وهم على ثلاثة آراء :

أناس يقولون : خلونا (دعونا) نفتح الجبل ونطلعها.

وأناس يقولون : خلونا (دعونا) نرمي عليها حجارة من أعلى الجبل حتى تموت.

وأناس يقولون : اتركوها لوحدها إن طلعت أو رجعت, لا تحركوها ولا تقربوا منها.

قمت من النوم... واشغلتني الرؤيا, ولما فكرت فيها وجدت أن أهل عنيزة كانوا على ثلاثة

آراء بخصوص تولى الوالد القضاء :

(١١٧)-

ناس يحبون الوالد ويتمنون أن الله يفكه من القضاء.
وناس من أهل عنيزة ومن العامة يدعون الله أن يصير الوالد قاضياً في عنيزة.
وناس يقولون : الله يختار الصالح من الأمر كان ذلك أو لم يكن.
ثم...قصص الرؤيا على الوالد, وهو منصت, فلما انتهت قال الوالد : خير يكون وشرّ
يهون يا ولدي إذا صدقت رؤياك فأنا إن شاء الله افتكيت من القضاء, وفعلاً بعد ثلاث
ساعات من هذا الموقف جاءت بقرينات أنه تم تعيين شخص آخر قاضياً بعنيزة.

رؤيا للشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله (ت ١٣٨٦)

ذكر عن نفسه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام, وطلب منه الدعاء,
فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (اللهم اغفر لعبيدك هذا, اللهم اغفر لعبيدك هذا,
اللهم اغفر لعبيدك هذا)

رؤيا للشيخ عبدالعزيز الشثري (أو حبيب) رحمه الله (ت ١٣٨٧هـ)

قال الشيخ محمد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري عن جده الشيخ عبدالعزيز (أبو حبيب)
رحمه الله : نجد من المناسب قبل الحديث عن وفاته التعرض لما حدث قبلها مما رآه رحمه
الله...فقد رأى رحمه الله في المنام أن أناساً من أصحابه الذين توفوا قبله قد أعطوه أوراقاً
خضراء فأول ذلك بوفاته.

ثم تكررت الرؤيا عليه بأن أناساً ممن توفوا قبله من أصحابه يدعونهم إليهم,
وكان رحمه الله قد أحسن باقتراب أجله, فقد اشترى بيتاً...وقال : لن أسكن فيه, يشير
بذلك إلى دنو أجله.

وكان رحمه الله قبل ذلك قد اشترى أغطية لحفاً لأهله, وقال لأهله مماًزحاً : حتى لا
تقولوا مات ولم يشتر لنا أغطية ولحفاً.

وبعد حلول شهر رمضان سافر إلى مكة لأداء مناسك العمرة, وقد أحس بالمرض... ثم عاد إلى الرياض... وتوفي بتاريخ ١٧ رمضان عام ١٣٨٧ هـ

رؤيا للعلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله (ت ١٣٨٩ هـ)

قال الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم : لقد كان رحمه الله شديد الحرص على ألا يخرج لسماحته إلا ما تطيب به نفسه, وما أقل ما ترضاه نفسه العالية, لقد رأيت في منامي بعد وفاته بشهرين, فقال لي : يا عبدالله أظن هناك رغبة في جميع ما صدر منا من فتاوى وملاحظات قضائية, وتعرف أننا ما نعيد النظر فيما كتبناه بالأمس إلا ونجد ملاحظة منا, سواء كانت غلطة مطبعية, أم عبارة جرى السهو فيها, ولكن قل لإبراهيم [ابنه] لا يصدر الفتاوى إلا ومراجعة منكم بصفتكم أكثر معرفة بها, وبلغت معالي الشيخ إبراهيم تلك الرؤيا في وقتها.

رؤيا للشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي رحمه الله (ت ١٣٨٩ هـ)

كان الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي يدرس عند شيخه العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله, وكان يسمع الدعاة الذين يحضرون عند شيخه يذكرون ما يوجد في الجهات الجنوبية من المملكة العربية السعودية من بدع وخرافات وشركيات وعادات سيئة, وكان الشيخ عبدالله يتألم لما يسمع, فبدأ يفكر في الدعوة إلى الله تعالى في تلك الجهات, حتى قومه, وشدّ أزره ما رآه في منامه, حيث رأى النبي صلى الله عليه وسلم, على هيئة وصفته, وهو يشير إليه بيديه الشريفة أن يتجه إلى الجنوب, فلما أصبح صلى الفجر مع شيخه محمد, وأخبره بما رأى, فاستبشر وقال : إنها رؤيا حق.. وبعدها اتجه الشيخ عبدالله إلى تلك الجهات للدعوة إلى الله,

قال العلامة بن باز عنها : بذل جهوداً كبيرة في الدعوة إلى الله سبحانه, والأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر, وأقام الكثير من المدارس, وحلقات العلم, ونفع الله بجهوده السكان, وانتشر العلم, وتخرج على يديه الكثير من طلبة العلم, وزال بالله سبحانه ثم بجهوده, وجهود طلابه كثير من الأمور المخالفة للإسلام في العقيدة والعبادات والمعاملات.

رؤيا لسماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله (ت ١٤٠٢)

قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي : حدثنا شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد, قال : كنت قاضياً في ناحية سددير, وكان يأتي إليّ رجل مسن من أهلها, حسن الحديث, فكنت أستظرف حديثه, وأستمع إليه, وفي يوم من الأيام جاء إليّ وهو كاسف البال, ويظهر الحزن, وقال لي : يا شيخ : أنت تبي تروح عنا وتخلينا يا أهل سددير, قال الشيخ عبدالله : فنفيت ذلك له, وكنت صادقاً, فأنا لا أعرف أنني سأتركهم ولا أنوي ذلك. فقال لي الرجل : بلى أنت تبي تتركنا يا شيخ, أنا رأيتُ البارحة فيما يرى النائم أنك طرت من عندنا واتجهت شمالاً, قال : والطيران في المنام رفعة, فسوف تذهب عنا إلى بلد أكبر, قال الشيخ : ولم يدر في خلدي, ولم أكن سمعت شيئاً عن ذلك قبل, وبعد أيام تلقيت أمراً من الملك عبدالعزيز يطلب مني الحضور إلى الرياض, ثم قال : لقد اقتضى نظرنا, أو قال: اقتضت المصلحة نقلكم إلى بريدة مدرساً وشيخاً لطلبة العلم فيها, وبذلك تحقق حلم الرجل.

(١٢٠)-

رؤى للشيخ حمود التويجري رحمه الله (ت ١٤١٣هـ)

قال الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان : مما رُئي فيه في حياته : ما حدث به عبد الله بن محمد الرشيد - وهو من سكان الزلفي - أن أخاه أحمد رأى في منامه أنه قيل له : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء - يعني إلى بلادهم الزلفي - قال : فسألت أين هو لأذهب للسلام عليه ؟ فقيل لي : إنه ذهب إلى التويجري ليستلم عليه.

ومما رُئي له بعد موته : ما رآه غير واحد من أنه رأى الشيخ حمود في منامه بعد موته فسأل عن مكانه في الجنة ؟ فقال : في أعلى علّين وفي رؤيا أخرى : في الفردوس الأعلى

رؤيا للشيخ صالح بن علي الغصون رحمه الله (ت ١٤١٩ هـ)

قال الدكتور طارق بن محمد الخويطر : رأيت له رؤيا بشرته بها, فقد رأيت أني دخلت على مكان فيه نساء ييكنين, ورأيت رجلاً على سرير, قيل لي إنه الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله فجلست عنده قليلاً فأصابته حالة نزع فقال : إني أرى مكان الشيخ ابن باز في الجنة, فقلت له : وابن غصون ؟ قال : وابن غصون, وقد سعد الشيخ بالرؤيا وحضرت إليه في مرضه الأخير أريد تذكيره وإدخال السرور عليه ظناً مني أنه نسي فقال إن الرؤيا لم تغب عن بالي ولكن إذا تذكرت أعمالي خفت إني لا أستحق ذلك فله دره فذلك تواضع الأصفياء الأبرار والأولياء الأخيار

رؤى للعلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت ١٤٢٠ هـ) رحمه الله

قال الدكتور طارق بن محمد الخويطر : رأيت له رؤيا بشرته بها, فقد رأيت أني دخلت على مكان فيه نساء ييكنين, ورأيت رجلاً على سرير, قيل لي إنه الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله, فجلست عنده قليلاً فأصابته حالة نزع, فقال : إني أرى مكان الشيخ ابن باز في الجنة.

فكتبت إليه أخبره.. فكتب لي رداً قال فيه : ما تضمنه من الرؤيا كان معلوماً وأسأل الله عز وجل أن يعفو عنا وعنكم... وعن كل مسلم, وأن يجمعنا وإياكم في دار كرامته, وهي بشرى خير, تسرُّ المسلم ولا تثبطه عن الخير, بل تدفعه إلى المسارعة والاستقامة على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على دينه.

وقال الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان : من الرؤى بعد وفاته رحمه الله : أنه اتصل عليّ أحد الإخوة الثقات الصالحين من إخواننا الشناقطة ممن أعرفهم بالصدق في الحديث, وحسن الدِّين, فقال لي : رأيت فيما يرى النائم قصرأً أبيض واسعاً كبيراً, فدخلته فإذا هو واسع جداً, وكلما دخلتُ فيه ازداد اتساعاً وكبراً, وكلما دخلت اتسع أكثر وأكثر, وهكذا دواليك, فلما جئتُ لوسطه جلستُ في وسط القصر على دكة في رحبته الواسعة, وسألتُ لمن هذا القصر الأبيض الجميل الواسع ؟ فقال هاتف أسمعهُ ولا أراه إنه للشيخ عبدالعزيز بن باز, ثم بينما نحن نتجول في القصر, فإذا قارئ يقرأ بأجمل صوت, وأفضل قراءة سمعتها أذني مطلقاً [ولمن خاف مقام ربه جنتان]

وذكر الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الرحمة, عدّة رؤى لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله, قال : الرؤية الثالثة : حدث بها الشيخ إبراهيم الباتلي المدرس في معهد إمام الدعوة العلمي بالرياض, يقول : قبل أسبوعين من وفاة الشيخ, رأيتُ في المنام أني في مجلس الشيخ, وأنا لي مدة عن زيارة الشيخ, فكنا في المجلس ثم قال الشيخ : رأيتم الذي خرج ؟ نحن مبصرون لكن ما رأيناه, والشيخ الكفيف تعجبنا كيف يقول هذا الكلام ! قال : هذا ملك الموت أتى لقبض روحي, ورأيت منازل, وأبشركم أنها منازل خير

وقال الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان : الرؤى في سماحة الشيخ رحمه الله تعالى كثيرة, سواء في حياته أو بعد موته..

ومن الرؤى في الشيخ رحمه الله في حياته : ما رأيته بنفسى, وذلك أني رأيتُ فيما يرى
النائم أن رجلاً جاءني وقال لي : النبي صلى الله عليه وسلم موجود في مسجد معين في
الرياض, فذهبت إليه في المسجد, ورأيت ثمانية رجال من الخلف كلهم في الروضة (
مقدمة المسجد) فرأيت عليهم العمائم تعلوهم الهيبة والوقار, فقلتُ لصاحبي : أين النبي
صلى الله عليه وسلم منهم ؟ فقال : أحد هؤلاء الثمانية, فأتيت من طرف الصف
الشمالي فرأيت على صفحات وجوههم اللحي والهيبة والوقار, فكنتُ متحفظاً أن أراه وأنا
أدقق النظر فيهم أيهم, فأقيمت الصلاة, فقلت : الآن سيتقدم هو صلى الله عليه وسلم,
سبحان الله ! وكأن الأرض انشقت عن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لا أدري كيف
جاء فتقدم بين الصفوف وتقدم بين هؤلاء, ثم قال : استووا, ثم كبر للصلاة وكبّر من
خلفه معه, فسألت أحد المعيّرين عنها فقال هذه لا تحتاج إلى تعبير تُعبرّ نفسها بنفسها :
الرسول صلى الله عليه وسلم هو السنة والشيخ عبدالعزيز رحمه الله إمام السنة في وقته,
وأحد أقرابي رأى في الشيخ رؤيا خير قبل موته, حيث رأى فيها الشيخ حمه الله على
منظر بهي يُعبط فيه.

ومنها : أن أحدهم قال : رأيت فيما يرى النائم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه
الله تعالى وهو على النعش مكفناً بكفن أبيض, وأنا أبكي عليه حزناً على وفاته, فبينما
أنا أبكي إذ جاءني رجل حسن الهيئة أبيض اللون جميل المنظر, فقال لي : أتعلم على من
تبكى ؟ فقلتُ : نعم, فأشار إلى الشيخ وقال : هذا لو أقسم على الله لأبره.

وقال الشيخ عبدالحسن بن حمد العباد البدر تلميذ العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله
بن باز رحمه الله : الجامعة الإسلامية... كان نائباً للرئيس, ولكنه هو المباشر للتنفيذ,
والقائم على إدارتها وتنفيذ أعمالها, وبعد ذلك كان رئيساً للجامعة.

وفي يوم من الأيام قال لي : رأيتُ البارحة رؤيا, وهو أنني رأيتُ كأن هناك بكرة جميلة [أي : ناقة] وأنا أقودها وأنت تسوقها, وقال : أولتها بالجامعة الإسلامية, وقد تحقق ذلك بحمد الله فكنْتُ معه في النيابة لمدة سنتين.

رؤيا للشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله (ت ١٤٢٠)

قال ابن عبدالملك : رأى أحد أبناء العم قبل أسبوع من وفاة الوالد أن هاتفاً يقول له في المنام : " عمك محمد شهيد " وتكررت أكثر من مرة, ولم يخبرنا بما إلا بعد موت الوالد...ورأى أحد أقاربنا بعد وفاته وجهه رحمه الله كالقمر.

رؤيا للعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (ت ١٤٢١هـ)

قال الشيخ عبدالعزيز السدحان : حدثني أحد الأخوة الذين تربطني بهم علاقة قوية عن رؤيا نقلتها له امرأته فذكرت أن امرأة..رأت فيما يراه النائم قبل اثنتا عشرة سنة أنها دخلت الجنة من باب كبير فرأت قصرين من زجاج يرى من خارجهما من بداخلهما والقصران لم يكتمل بناؤهما بعد وفي داخل القصرين فرش وبسط لم تفرش بعد بل هي مركونة في جانب القصر فقيل للمرأة : القصر الآخر للشيخ ابن عثيمين.

رؤيا للعلامة ناصر الدين الألباني رحمه الله (ت ١٤٢١)

قال الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان : قال الشيخ الفاضل إحسان العتيبي : في آخر لقاء لي به رحمه الله [يعني العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني] حدثته عن رؤيا بعض إخواننا, وهي أن هذا الأخ رأى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله : إذا أشكل عليه شيء في الحديث من أسأل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سل محمد ناصر الدين الألباني, فما أن انتهيتُ من حديثي حتى بكى بُكاءً عظيماً, وهو يقول : (اللهم لا تؤاخذني بما يقولون, واجعلني خيراً مما يظنون, واغفر لي ما لا يعلمون.

وأهل العلم لم يكونوا يحرصون على سماع كل ما ذكر لهم من رؤى, فسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله يأتي إليه بعض الناس, ويقول : رأيت فيك رؤيا منامية صالحة - إن شاء - فيلزم سماحته الصمت, ولا يطلب من الرائي ذكرها, ولكن ذلك الشخص يبدأ بذكرها, وسماحة الشيخ لا تظهر عليه الرغبة في سماعها, ولكن أدبه يأبى عليه أن يُسكت المتكلم.

وإذا رأى أحد رؤيا وذكرها لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله, فإذا انتهى قال الشيخ : خير إن شاء الله, والمعول على عفو الله. أما الرؤى الصالحة التي يرونها لأنفسهم فلم يكونوا كذلك يذكرونها لغيرهم ولو كانوا من أقرب الناس إليهم, قال الشيخ عبدالملك بن قاسم عن والده الشيخ محمد : رأى رحمه الله رؤى ثلاث قبل موته بأيام وقال : رأيت رؤى ثلاث مبشرة, ولم يذكرها ما هي ألبته.

(١٢٥)-

فصل : صور من حسن الخاتمة لهم

الموت حتم لازم لكل أحد, قال الله عز وجل : [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ] [آل عمران: ١٨٥]
وقال سبحانه وتعالى : [كل من عليها فان ~ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام]
[الرحمن: ٢٦-٢٧]

والموت مصيبة, قال الله جل جلاله : { فأصابتكم مُصيبة الموت } [سورة المائدة/١٠٦]
وأعظمُ منه الغفلة عنه, قال الإمام القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا وأعظم منه الغفلة عنه
والأعراض عن ذكره وقلة التفكر فيه وترك العمل له.

عن طارق بن عبدالله المحاربي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يا
طارق استعد للموت قبل نزول الموت) [أخرجه الحاكم] والاستعداد له يكون بأمر منها
:

التوبة من جميع الذنوب

قال لقمان لابنه : يا بني, لا تؤخر التوبة, فإن الموت يأتي بغتة, قال الحافظ ابن رجب
رحمه الله : قال بعض السلف : أصبحوا تائبين, وأمسوا تائبين, يشير إلى أن المؤمن لا
ينبغي أن يُصبح ومُسي إلا على توبة, فإنه لا يدري متى يفجأه الموت صباحاً أو مساءً,
فمن أصبح أو أمسى على غير توبة, فهو على خطرٍ, لأنه يُخشى أن يلقي الله غير تائب,
فيحشر في زمرة الظالمين, قال الله تعالى : [ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون]
[الحجرات: ١١]... فإن نزل المرض بالبعد فتأخيره للتوبة حينئذ أقبح من كل قبيح, فإن المرض
نذير الموت.

(١٢٦)-

ومنها : تذكر الموت دائماً وعدم نسيانه

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثروا هاذم اللذات) يعني الموت [أخرجه الترمذي] قال الإمام القرطبي رحمه الله : قال السدي في قوله تعالى : { الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً } [سورة الملك/٢] : أي أكثرتم للموت ذكراً، وله أحسن استعداداً، ومنه أشدّ خوفاً وحذراً.

والإمام علي بن الحسين بن مبارك رحمه الله ما كان لسانه يفتّر عن ذكر الموت ومن كان يستشعر الموت في كل وقت ورغب في الآخرة، قال الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : إنك إن استشعرت الموت في ليلك ونهارك، بُعِضَ إليك كل فان، وحبّب إليك كلُّ باق.

ومنها : ترك كل عمل يكره من أجله الموت

قال الإمام سلمه بن دينار رحمه الله : كل عمل تكره من أجله الموت فاتركه ثم لا يضرّك متى تموت.

ومنها كثرة الأعمال الصالحة، وخصوصاً مع تقدم العمر وظهور الشيب قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : من نزل به الشيب فهو بمنزلة الحامل التي تمت شهور حملها، فما تنتظر إلا الولادة، كذلك صاحب الشيب لا ينتظر إلا الموت.

ومن الأعمال الصالحة التي تكون سبباً في حسن الخاتمة : الصدقة قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله : الصدقة من فوائدها أنها تدفع ميتة السوء، فتكون سبباً لحسن الخاتمة

ومنها : سؤال الله حسن الخاتمة

وجاء في ترجمة محمد منصور الراجحي رحمه الله، أنه كان كثيراً ما يدعو الله أن يموت تحت حوافر الخيل أي في الجهاد فمات بمكة في الزحام أثناء السعي تحت أقدام الحجاج

(١٢٧)-

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله, في ترجمة أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن مظفر بن بدر بن حسن بن مفرج بن بكار النابلسي رحمه الله : كان يقول اشتهي أن أموت وأنا ساجد فرزقه الله ذلك.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : كان السلف يرون أن من مات عقيب عملٍ صالح كصيام رمضان, أو عقيب حج أو عمرة, أنه يرجى له أن يدخل الجنة" وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يُعْتَبُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) [أخرجه مسلم] فهنيئاً لمن مات أثناء قيامه بعمل صالح.

من مات بعد أن تشهد

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) [أخرجه أبو داود] فممن مات بعد أن تشهد : الشيخ إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن باديس بن القائد الحمزي, المعروف بابن قرقول, رحمه الله, حضرته الوفاة, فتلا سورة الإخلاص, وجعل يكررها... ثم تشهد, وسقط على وجهه ساجداً ميتاً.

الإمام إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي رحمه الله, -أخو الحافظ عبدالغني- لما جاءه الموت, جعل يقول : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث, واستقبل القبلة وتشهد ومات. الإمام أحمد بن أبي بكر بن منصور بن عطية الإسكندري رحمه الله, لما احتضر... كرر الشهادة... ومات.

الإمام محمد بن أحمد بن عبدالمهدي المقدسي رحمه الله, كان آخر كلامه : أشهد أن لا إله إلا الله, وأشهد أن محمداً رسول الله, اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

والشيخ أحمد بن عبدالعزيز بن صالح المرشد المرشدي رحمه الله, توفي وهو محرم للحج يوم التروية... لم يسمعوا منه سوى نطقه بالشهادتين.

والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله, أغمي عليه في آخر حياته, ثم أفاق, وسلّم على من حوله من أولاده وأقاربه, وعرفهم ثم تشهد ومات.

والشيخ عبدالعزيز بن محمد السلطان رحمه الله, استقبل القبلة, وتشهد الشهادة كلمة التوحيد, وفاضت روحه.

والشيخ محمد بن سعيد رحمه الله, عندما جاءت ساعات موته, أخذ يستغفر ويكرر : لا إله إلا الله, حتى فارق الحياة, وله من العمر مائة سنة وزيادة سنتين.

من مات وهو يقرأ القرآن الكريم

الإمام الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري رحمه الله, كان عند موته قد ختم القرآن الكريم, ثم ابتدأ بقراءة سورة البقرة, فقرأ سبعين آية ثم مات.

والشيخ أحمد بن محمد الديلمي رحمه الله, أخذ يقرأ قدر خمسين آية ثم مات.

الإمام ابن طاهر المقرئ رحمه الله, بينما هو جالس في مسجده, يقرأ وقع ميتاً.

والإمام الكاساني رحمه الله, شرع في قراءة سورة إبراهيم, حتى إذا انتهى إلى قوله تعالى { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة } خرجت روحه.

والشيخ خلف عبدالله الخلف رحمه الله, قرأ سورة الكهف, فلما ختمها توفي.

والشيخ عبدالعزيز الشثري (أبو حبيب) رحمه الله, مات وهو يتلو قوله تعالى : { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابتشروا بالجنة التي

كنتم توعدون } [سورة فصلت/٣٠] وكررها حتى فاضت روحه رحمه الله.

والشيخ ناصر حمد ناصر الدرسوني رحمه الله, توفي وهو يقرأ سورة يس.

من مات وهو صائم

عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من ختم له بصيام يوم دخل الجنة) [أخرجه البزار] وممن خُتم له فمات وهو صائم :

الشيخ عروة بن الزبير رحمه الله (ت ٩٤)

الشيخ خالد بن معدان بن أبي يكرب رحمه الله (ت ١٠٣)

الشيخ قيس بن إسحاق بن محمد الميرفيناني رحمه الله (ت ٥٢٦)

الشيخ ابن أبي المعالي بن قايد رحمه الله (ت ٥٨٤)

الشيخ سليمان بن طلق بن علي بن طلق النجدي رحمه الله (ت ١٣٨٥)

الشيخ أحمد ياسين رحمه الله (ت ١٤٢٥)

من مات وهو ساجد

قال الله عز وجل : [فليدع ناديه ~ سندع الزبانية ~ كلا لا تطعه واسجد واقترب] [العلق: ١٧-١٩] فالعبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد, فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) [أخرجه مسلم] فهنيئاً لمن تكرم الله عليه فقبضه إليه وهو ساجد وممن مات من أهل العلم وهو ساجد :

الإمام المبارك بن سعيد الثوري رحمه الله (ت ١٨٠)-أخو الإمام سفيان-

الشيخ عبدالعزیز بن أبي حازم رحمه الله (ت ١٨٥)

الشيخ نصر بن علي بن نصر بن علي بن صبهان رحمه الله (ت ٢٥٠)

الشيخ بن أبي شجاع يعرف بابن الثلجي رحمه الله (ت ٢٦٦)

الشيخ أبي عقاب علوان بن الحسن رحمه الله (ت ٢٩٦)

- (١٣٠)

الشيخ يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى البخاري رحمه الله (ت ٣٢٢)
الشيخ أحمد بن علي بن الحسن بن محمد الدقاق رحمه الله (ت ٤٧٤)
الشيخ محمد بن الحسين المزريقي رحمه الله (ت ٥٢٧)
الشيخ عفر بن الحسن الأذربيجاني رحمه الله (ت ٥٠٦)
الشيخ محمد بن الحسين بن علي الشيباني الحاجي رحمه الله (ت ٥٢٦)
الشيخ علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي رحمه الله (ت ٥٣٣)
الشيخ يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله (ت ٥٦٠)
الشيخ عبدالرحيم بن نصر بن يوسف بن مبارك البعلبكي رحمه الله (ت ٦٥٦)
الشيخ سعد بن عثمان بن مرزوق بن حميد سلامة القرشي رحمه الله (ت ٥٩٢)
الشيخ أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن مظفر بن بدر بن مفرج رحمه الله (ت ٧٥٨)
الشيخ محمد بن أحمد بن محمد يعرف بابن الخلال رحمه الله (ت ٨٦٧)
الشيخ محمد بن عبداللطيف بن محمد بن علي الباهلي رحمه الله (ت ١٢٧٨)
الشيخ بدالله بن إبراهيم بن محمد بن سالم الضويان رحمه الله (ت ١٣٥٨)
الشيخ عبدالحميد كشك رحمه الله (ت ١٤١٧)

من مات وهو يقرأ القرآن في الصلاة

الشيخ زارة بن أوفي رحمه الله (ت ٩٣)
الشيخ حميد الطويل رحمه الله (ت ١٤٣)
الشيخ أبو بكر محمد بن عبدالله بن جعفر الزهيري رحمه الله (ت ٢٦٥)
الشيخ إسماعيل الإسماعيلي رحمه الله (ت ٣٩٦)
الشيخ علي بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن جدا العبكري رحمه الله (ت ٤٦٨)
(١٣١)-

الشيخ محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن تيمية رحمه الله (ت ٦٢٢)
الشيخ محمد بن عوض بن سلطان بن عبدالمنعم البكري رحمه الله (ت ٧٤٤)
الشيخ علي الجراعي رحمه الله (ت ٨٥٩)
الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم بن سلمان البداح رحمه الله (ت ١٢٩٧)
الشيخ عوض محمد عوض الحجوي رحمه الله (ت بعد ١٣٠٩)
الشيخ عبدالله بن عودة بن عبدالله صوفان بن عيسى القدومي رحمه الله (ت ١٣٣١)
الشيخ عبدالملك بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله (ت ١٤٠٤)
الشيخ عبدالعزيز بن علي بن عبدالله بن محمد الشبل رحمه الله (ت ١٤١٨)

من مات وهو محرم

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً كان مع النبي صلى الله عليه وسلم محرماً، فوقصت ناقته، فمات، فقال عليه الصلاة والسلام: (اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يُبعث يوم القيامة مئلياً) [متفق عليه] وممن من الله الكريم عليه فمات وهو محرم من أهل العلم:

الشيخ القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي رحمه الله (ت ٧٣٩)
الشيخ إبراهيم بن محمد بن عثمان بن علي بن عثمان بن سعد بن أبي المعالي البرهان رحمه الله (ت ٨٨٤) أدركه أجله وهو محرم يوم عرفه
الشيخ أحمد عبدالعزيز المرشدي رحمه الله (ت ١٣٥٩) مات بمكة يوم التروية محرماً

من مات بعد أن صلى

الشيخ علي بن محمد الجرجاني رحمه الله (ت ٣٦٨) توفي بعد صلاة الجمعة.

الشيخ أحمد بن محمد الأصبهاني رحمه الله (ت ٥٧٦) لما صلى صلاة الصبح من يوم الجمعة في أول وقتها مات.

الشيخ عبداللطيف عبدالله آل مبارك رحمه الله (ت ١٣٧٢) توفي بعد أن صلى الظهر.

من مات بعد أن صلى النافلة وجلس ينتظر إقامة الفريضة

الشيخ الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي رحمه الله (ت ٧٤٣) دخل المسجد وصلى النافلة وجلس ينتظر الإقامة للفريضة ففضى نجه متوجهاً إلى القبلة.

من مات وهو يدعو

الإمام أحمد بن محمد ابن السني رحمه الله (ت ٣٦٤) رفع يديه يدعو الله عز وجل فمات

من مات وهو يخطب يوم الجمعة

الشيخ يحيى بن مالك عائذاً لأندلسي رحمه الله (ت ٣٧٦) مات وهو يخطب يوم الجمعة

من مات وهو يذكر الله

الإمام محمد بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي رحمه الله مات وهو.. يسبح.

والشيخ إبراهيم بن خضر عثمان العثماني القصورى رحمه الله مات وهو يستغفر الله.

أسأل الله الرحمن الرحيم أن يمنَّ عليَّ، وجميع إخواني المسلمين، بحسن الخاتمة، إنه سميع قريب مجيب.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٤	فصل : منهجهم في طلب العلم
١٩	فصل : منهجهم في تعليمهم لطلابهم
٣٢	فصل : اجتهادهم في الطاعة والعبادة
٤٠	فصل : برهم بوالديهم
٤٥	فصل : اهتمامهم بتربية أبنائهم
٥٨	فصل : تحليهم بمكارم الأخلاق
٧٥	فصل : العفو عن ظلمهم وآذاهم
٨٢	فصل : منهجهم في التصنيف والتأليف
٩٠	فصل : صور من الابتلاء لهم في دين الله
٩٢	فصل : من تجاربهم
٩٤	فصل : الصبر والتحمل عند وجود المصائب والأمراض
٩٦	فصل : مواقف لهم في القضاء
٩٩	فصل : شربهم لماء زمزم بنيات مختلفة
١٠١	فصل : حرصهم على أوقاتهم
١٠٣	فصل : مجالسهم مجالس خير وبركة
١٠٦	فصل : حبهم للكتب

١٠٩	فصل : متفرقات
١١٣	فصل : الرؤى والمبشرات لهم
١٢٦	فصل : صور من حسن الخاتمة لهم
١٣٤	الفهرس